الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
.....
جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
.....
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية
.....
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique
.....
Université Ain Témouchent Belhadj Bouchaib
.....
Facultés des Lettres et Langues et Science Sociales
.....
Département langue et lettre arabe

محكي الطفولة
في "الحفر في تجاعيد الذاكرة" لعبد الملك مرتاض

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص أدب جزائري

- إعداد
- الطالب: زلاط محمد سيف الاسلام
- الطالب: بعيليش محمد الأمين

- إشراف

الدكتور عيسى بخيتي

لجنـــــة المناقشـــــة

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
مريم عزي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة عين تموشنت	رئيسا
عيسى بخيتي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة عين تموشنت	مشرفا ومقررا
جميلة بن قويدر	أستاذة	جامعة عين تموشنت	ممتحنا

السنة الجامعية: 2022 / 2023

الشكر و التقدير

الشكر والحمد الله ابتداء وانتهاء

نتقدم بأسمى معاني الشكر و التقدير لأستاذنا الفاضل "عيسى بخيتي
و أعضاء اللجنة المحترمة، و الشكر موصول لكل من ساعدنا في البحث
من قريب او بعيد

الإهداء

الى أغلي ما في الوجود . . . عائلتي جميعا

الى احبتي جميعا

الى من ساعدني في انجاز هذا البحث

اهدي ثمار بحثي

أمين

الإهداء

الى منبع الحنان والعطاء . . . امي

الى كل الأصدقاء

الى كل من تجمعني بهم صلة القرابة اهدي هذه الرافة

سيف الدين

المقدمة

شكلت السيرة الذاتية على مر العصور جنسا أدبيا مهما لدى العديد من الشخصيات الفذة، إذا استطاعوا من خلالها سرد مراحل متنوعة من حيواتهم، ولعل فترة الطفولة من الفترات التي عنى الكتاب بالحديث عنها.

ولأن محكي الطفولة في السيرة الذاتية في الجزائر أينع على يد العديد من الأدباء الجزائريين أمثال عبد المالك مرتاض في سيرته "الحفر في تجاعيد الذاكرة" روادنا تساؤل جاء فيه: ما هي ملاح محكي الطفولة ذاتا في السيرة الذاتية لعبد الملك متراض؟

وعلى أساسه جاء موضوع مذكرتنا معنويا ب "محكي الطفولة في السيرة" الحفر في تجاعيد الذاكرة لعبد الملك مرتاض.

وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأسباب شخصية تمثلت في:

- اهتمامنا بأدب السيرة الذاتية الذي ينقل أحداثنا حقيقية.
- انجذابنا للطفولة وذكرياتنا.

أما الدوافع الموضوعية فتمثلت في:

- ضرورة استنباط ملامح ذكريات الطفولة في السيرة عبد الملك مرتاض.

كما انشغلنا على بعض الإشكالات التي كان أهمها:

- ماهية السيرة الذاتية؟ وكيف تطورات؟
- كيف كانت الطفولة مصدر للإبداع الأدبي شعره ونثره؟
- كيف تبلورت الطفولة ذاتا في النثر العربي قديمه وحديقة؟

وقد سرنا في هذا البحث وفق خطة مكونة من: مدخل تطرقنا فيه إلى الحديث عن السيرة الذاتية نشأتها وتطورها. أما الفصل الأول المعنوي بالطفولة مصدر الإبداع الأدبي؛ فتحدثنا عن الطفولة ذاتها في كل من الشعر العربي القديم والحديث. لننتقل إلى الخوض في الطفولة ذاتا داخل متون النثر العربي القديم من خلال السيرة الذاتية والتراجم والاعترافات، ثم عرجنا إلى السرد العربي الحديث ملممين بأهم محكيات الطفولة في السيرة الذاتية والمذكرات، في حين خصصنا الفصل الثاني لاستنباط ملامح محكي الطفولة ذاتا في مؤلف "الحفر في تجاعيد الذاكرة" من خلال مجتمع عبد الملك مرتاض (الطفل) ومكان الصبا، حيث قضى صغاره، ومظاهر الفقر، والذكريات الجميلة، وكيف قدم سيرته من خلال استخدام ضميرا لمخاطب لننهي بحثنا بخاتمة وقائمة المصادر لمراجع والفهرس.

وقد اتبعنا المنهج التاريخي في بعض الدراسة كوننا نقبنا في ظاهرة داخل إطارها التاريخي، واستعنا بالمنهج التحليلي كون الدراسة كانت إظهار واستنباط محكي الطفولة من كتب السرد العربي.

وقد واجهتنا صعوبات أثناء انجازنا للبحث، تمثلت في:

- قلة المصادر والمراجع التي تناولت محكي الطفولة ذاتا.
- إضافة لضيق الوقت.

كما كان اعتمادنا على بعض الدراسات السابقة التي ساعدتنا في انجاز الموضوع ك:

- تهاني عبد الفتاح شاكر (السيرة الذاتية في الأدب العربي).
- عبد العزيز شرف (أدب بالسيرة الذاتية).
- فيليب لوجون (السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ).
- شوقي ضيف (ترجمة الشخصية).

كما كان لثلة من المصادر التي كانت الركائز الأساسية على قيام البحث على رأسها:

- عبد الملك مرتاض (الحفرة في تجاعيد الذاكرة).
- الجواهري (مذكراتي).
- طه حسين (الأيام).
- الرافعي (مذكراتي).

وأخيرا الحمد الله الذي أيدنا لإنجاز هذا البحث، ونتقدم بجزيل العرفان لأستاذنا المشرف "**عيسى بخيتي**" على رعايته هذا البحث.

المدخل:
السيرة الذاتية في الأدب العربي

1- ماهية السيرة الذاتية:

تعرف السيرة الذاتية على أنها تلك المعلومات التي يعتمدها الفرد للتعريف عن نفسه، وقد تعددت معانيها اللغوية والاصطلاحية فهي:

أ- في اللغة:

ورد في معجم الصحاح الجوهري: "و(السيرة) طريقة يقال (سار) بهم سيرة حسنة".[1]

أمّا في لسان العرب و"السيرة، الهيئة: وفي التنزيل العزيز: "سنعيدها سيرتها الأولى وستر سير، حدث أحاديث الأوائل".[2]

وفي معجم المحيط للفيروز آبادي "والسيرة، بالكسر: السنة أو الطريقةُ، والهئية، والميزة".[3]

إذن فالسيرة في معناها اللغوي هي المنوال أو الطريقة.

مفهوم السيرة الذاتية في الأدب:

تعدّ السيرة الذاتية من الفنون الأدبية التي لاقت اهتماما لدى النقاد حيث يعرّفها محمد عبد الغني حسن هلالي: "الترجمة الذاتية هي أن يكتب المرء نفسه تاريخ نفسه، فيسجل حوادثه وأخباره، ويسرد أعماله وآثاره ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته، وما جرى فيها من أخطاره تعظم وتضؤل تبعا للأهمية، وهي مظنة الأعراق والمغالاة غالبا، وشرك للحديث عن النفس والزهو لها وإغلاء قيمتها".[4]

أما أنس المقدسي يقول: أن السيرة الذاتية "تدور على حياة كاتبها وتعرف في اللغة الغربية" بالاوتوبيوغرفي" (Autopiography).[5]

---

[1]- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د.ط، 1982، ص 136.

[2]- ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصر، **لسان العرب**، م4، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 390.

[3]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، تح- مر: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، **دار الحديث**، القاهرة، مصر، 2008، ص 828.

[4]- محمد عبد الغني حسن هلالي، **التراجم والسير**، دار المعارفة، القاهرة، مصر، د.ط، 1955، ص 23.

[5]- أنس المقدسي، **الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة**، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ط6، 2000، ص 551.

في حين يقول إحسان عباس عن كاتب السيرة الذاتية أنه "كتب تلك السيرة من أجل أن يوجد رابطة ما بين وبينه، وأن يحدثنا عن دخائل نفسه وتجارب حياته، حديثا يلقي من أذن واعية، لأنه يشرفنا رغبة في الكشف عن عالم نجهله، حديثا ويوقنا من صاحب موقف الأمين على أسراره وخباياه".[1]

ويذكر فليب لوجون (Philippe le Jeune): "كل نص يبدو أن مؤلفه يعبر عن حياته واحساساته، مهما كانت طبيعة العقد المقترح من طرف المؤلف".[2]

وتعريف علاء الدين إسماعيل: "هو ترجمة الحياة الشخصية أو ذلك عندما يكتب لنا الكاتب ترجمة حياته هو الخاصة وهي عندئذ تسمى "ترجمة ذاتية (Autobiograppy) وهذا النوع يحتاج من الكاتب إلى الأمانة والصدقة".[3]

إذن فإن السيرة الذاتية من وجهة نظر النقاد هي سرد الأشخاص حيواتهم الشخصية وتجاربهم بكل مصداقية.

نشأة السيرة الذاتية في الأدب العربي:

1- تطور السيرة الذاتية في الأدب العربي:

ترجع البدايات الأولى للسيرة الذاتية إلى اليونان إلا أنهم لم يهتموا لهذا اللون من الكتابة "وإنّما عنوا بمرحلة النضج أو الذروة في حياة الفرد، وأخذوا بنظرية "الفرد العظيم" أو "البطل" التي استقرت لديهم منذ أن كتب "بلوتارك" سير عظماء "اليونان والرومان" ولم يتبع إلى مراحل التطور المختلفة للفرد التي بها الترجمة الذاتية"،[4] فكانت اهتماماتهم بالسير الغيرية على حساب سيرهم الذاتية.

حيث أقر الكثيرون أن "تاريخ السيرة الذاتية مرتبط بروسو من "اعترافاته" وتلك بداية الوعي بهذا الفن الإنشائي، وكانت فاتحة قبول هذا الجنس لاري الوليد في "معبد الأجناس الأدبية".[5]

---

[1]- احسان عباس، **فن السير**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 94.

[2]- فليب لوجون، **السيرة الذاتية**، (الميثاق والتاريخ الأدبي)، تر-تق: عمر حلمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 10.

[3]- عز الدين إسماعيل، **الأدب وفنونه**، دراسة وتعد، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، مصر، 2013، ص 156.

[4]- يحي إبراهيم عبد الدايم، **الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث**، دار احياء التراث العربي، د.ط، بيروت، لبنان، د.ت، ص 13.

[5]- شكري المبخوث، **سيرت الغائب سيرة الآتي السيرة الذاتية**، في كتاب الأيام، طه حسين، دار الجنوب للنشر، د.ط، تونس، 1992، ص 10.

وذلك لاحتكام كتابة إلى ضوابط لم يحتكم إليها كتاب أوغسيطن الذي ظهر قبل اعترافات روسو بقرون.

للتتابع بعد ذلك السير الذاتية في الأدب الغربي وتتنوع وفي نهاية القرن الثامن عشر أي حوالي 1797 ظهر لأول مرة مصطلح السيرة الذاتية،[1] وهذا ما جعل من السيرة الذاتية جنس أدبي حديث النشأة بالرغم من بروزه مبكرًا.

ومنذ ذلك الحين كثرت ألوان الترجمة الذاتية في الآداب الغربية كثرة تجعلها تنافس فنون الأدب الأخرى أو أصبح لها معالم بارزة في كل من هذه الآداب الغربية.[2]

2- السيرة الذاتية في الأدب العربي:

تعد السيرة الأدبية من الفنون الأدبية قديمة النشأة عند العرب كما يقول شوقي صيف: "لعل أقدم صور للترجمة الشخصية تلك الكلمات التي كان ينقشها القدماء على شواهد قبروهم، فيعرفون بأنفسهم، وقد يذكرون بعض أعمالهم واشتهر المصريون في عصور الفراعنة بكثرة نقشوا على قبورهم وأهراماتهم وفي معابدهم وهياكلهم من تواريخهم وأفعالهم"،[3] مما يؤكد لنا أن السيرة الذاتية لدى العرب قديمة القدم عن تواجدها عند الغربيين.

وعلى عكس الأدب الغربي الذي عرف فترة تأزم وتدهور في كتابة السيرة الذاتية خلال القرون الوسطى، فإنه تبلور وبدأ في التطور في الأدب العربي: "وأخذت التراجم تظهر منذ القرن الثاني للهجرة، ثم أخذت على توالي العصور تكثر أنواعها، ويتضخم عددها حتى بلغت من الكثرة في التراب العربي حدا لم تبلغه في أي تراث لأمة أخرى معروفة التاريخ في القديم والحديث خاصة المسلمين من تجارب حياتهم المتنوعة كالحروب والغزوات وغيرها.

وبالرغم من النزاعات حول البدايات الأولى لفن السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم إلا أن الباحثين في هذا الصدد "يمهدون لها دوما بذكر نماذج من هذا الفن قديمة وأكثر هذه النماذج تواترا "طوق الحمامة" لابن حزم "كتاب الاعتبار" لأسامة ابن منقد و"التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا" لابن خلدون".[4]

---

[1]- نقلا: عن تهامي عبد الفتاح شاكر، **السيرة الذاتية في الأدب العربي**، فدوى طوقان، وجبر إبراهيم جبرا، واحسان عباس، نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر المركز الرئيسي، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص 31.

[2]- يحي إبراهيم عبد الدايم، م.س، ص 20.

[3]- شوقي ضيف، **ترجمة ذاتية**، .

[4]- محمد عبد الغني، حسن الهلالي، م.س، ص 11.

وخضوعا لهذه الظروف تمايزت الكتابات في هذا الفن الأدبي مما "يدل على أن بدايات السيرة الذاتية عند العرب لم يخضع لنسق دنيوي محدد وصارم (....) فهناك نماذج مثل سيرة الغزالي، جوانب كثيرة من سيرة الشعراني، بينما هناك سيرة ذاتية يغلب عليها الوصف الأدبي، مثل سيرة الحكيم الترمذي، الذي ركز على وصف مشاعره وتغلبات نفسه".[1]

إذن فإن انطلاقة فن السيرة الأدبية عند العرب كان منذ القدم وبدأ في التطور عبر حقبات زمنية مختلفة.

3- السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث:

يعد عصر النهضة عصر نهوض الأدب بعد سباته الطويل، ولعل جنس السيرة الأدبية من أهم الأجناس التي تطورت خلال هذا العهد وبرزت فيها سير كثيرة "ولعل أول سيرة ذاتية ظهرت في العصر الحديث هي "كتاب الساق على الساق فيما هو الشدياق" للشيخ أحمد فارس الشدياق، وفيها حديث عن تنقلات الشدياق وبعض أحواله ولكن هذا كله فارق في غمار الاستطرادات والمترادفات اللغوية، وفي السخرية والمبحوث".[2]

وشيئا فشيئا أخذ هذا الفن في التطور والخضوع للقواعد حاله حال باقي الفنون الأدبية الأخرى خصوصا في القرن العشرين الذي حفظ أسماء لأدباء ارتقوا بمكانة السيرة الذاتية من خلال تدوين سيرهم ل "سيرة حسين طه المعروفة باسم: الأيام" و" حياة الأقلام" للعقاد، و"زهر العمر" للتوفيق الحكيم و"حياتي" لأحمد أمين و"قصة حياء" لإبراهيم عبد القادر المازني، و"سبعون" لميخائيل نعيمة، و"قال الراوي" للشاعر المهجري إلياس فرحات و"قصة حياتي للدكتور لويس عوض، و"في صالون العقاد" و"إلا قليلا" لأمين منصور"[3] وغير هذه الأمثلة كثير.

4- السيرة الذاتية في الأدب الجزائري:

لا يعرف فن السيرة الذاتية في الجزائر بروزا كما هو الحال عند المشارقة والغرب، وهذا عائد لما عاشه المواطن الجزائري جراء الاستعمار وما صاحبه من ظروف "قيدت الأدباء وصرفتهم عن كتابة

---

[1]- نجيب مبارك، **بدايات السيرة الذاتية عند العرب**، ثقافة الكتابة عن الذات، صفة ثالثة، مبر ثقافي عربي، د.ع، فلسطين، 2021، 22:38.

[2]- حسان عباس، م.س، ص 130.

[3]- عبد العزيز شرف، **أدب السيرة الذاتية**، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، د.ط، الحيزة، مصر، 1992، ص 58.

تجاربهم كتابة أدبية فتفصح عن مستوى فكري ورقي أدبي، يعتبر ما للبيئة والحياة الخاصة من تأثير وتربط القارئ بيئة يمثلها كاتبها"[1] فكانت الأعمال في هذا النوع ضئيلة فكل نقل معدومة.

وأما عن أول ما كتب في هذا الفن الأدبي بالجزائر "رواية الفتي" لرمضان حمود الذي تزامن نشره "وكتاب الأيام" لطه حسين" إلا أنه لم يرق إلى ذلك المستوى لتكون سيرة ذاتية وذلك لطغيان السرد التعليمي على عمله الأدبي"[2] فكان بذلك الممهد الأول لهذا الفن بالجزائر.

تم توالت المحاولات بعد ذلك في جنس السيرة الذاتية وتهافت الأدباء لتدوين سيرهم بعدما كانت عبارة عن يوميات وخواطر ذاتية فحسب، "أما المحاولة الثانية التي ارهصت لميلاد هذه الجنس في شمال الجزائر فتعود للأديب عبد المجيد الشافعي بعنوان "ذكريات من بعيد"، وقد نشرت سنة 1945 بجريدة العبقرية، حيث تطرق فيها الكاتب إلى ذكريات الطفولة، وعن ظروف تمدرسه معرجا على الحياة الاجتماعية التي عاشها رفقة عائلته".[3]

كما نلمس ابداعا آخرا في جنس السيرة الذاتية وهو مقال "من أنا للبشير الإبراهيمي حيث دوّن سيرته الذاتية في شكل مقال أدبي بتعبير فني صادق عن تجاربه في الحياة مراحل حياته ويقوم هذا الأخير على تحليل والتفسير، حيث أعطى لكل مقال عنوان خاص به ينقل لنا من خلاله الواقع الملموس في صورة واضحة، وبأسلوب سهل يقوم على الايجاز المحكم".[4]

وبالحديث عن "النشأة الجادة للسيرة الذاتية الناضجة ارتبطت بمرحلة التأمين حيث أن نزع المرحوم عمار بلحسن الموسوم "يوميات الوجع" وفيه سيرة متفق نبين تحت وطاءة المرض الذي المرنه.[5]

ومن بين الأدباء الجزائريين الذين كتبوا عن ذواتهم كاتب ياسين (نجمة) "فهي سيرة ذاتية لصاحبها يتحدث فيها عن مرحلة معينة من خيانة مع بعض التعبير والتمويه".[6]

---

[1]– عيسى بخشي، **عبد الملك مرتاض رائد السيرة الذاتية في الأدب الجزائري الحديث**، مجلة اللغة والاتصال، ع16، الشلف، الجزائري، جويلية، 2016، ص 150.

[2]– ينظر عيسى بخشي، ن.م، ص 150.

[3]– نقلا: عن الحاج جغدم، **تيمات السرد في السيرة**، عبد المالك مرتاض، الجغفري تجاعيد الذاكرة، مجلة التعليمية، م4، ع11، جوان 2017، ص 291.

[4]– نوال عباسي، **فن السيرة الذاتية في الأدب الجزائري الحديث مقال، "أنا للبشير الإبراهيمي نموذجا**، مذكرة الماستر في اللغة ولا الأدب العربي، جامعة أدرار، الجزائري، 2022، ص 21.

[5]– الحاج جغدم، المصدر نفسه، ص 292.

[6]– نجاة سويسي، **رواية السيرة الذاتية في (مزاج مراهقة) لفضيلة الفاروق**، مذكرة الماستر، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 37.

وسيرة زهور ونيسي المسومة "عبر الزهور والاشواك مسار امرأة"، حيث "تسرد الكاتبة سيرتها بصدق وواقعية، وتبرع تفاصيل حياتها وبمواضيع تخص المرأة والمجتمع،"[1] إضافة إلى فضيلة الفاروق وسيرتها مزاج مراهقة.

أما الأستاذ "قدور عمار إبراهيم" فتألق في عمله بعنوان بقايا من عهود الزمن وجذور المحن" والتي نشرت بديوان المطبوعات الجامعية سنة 2012".[2]

كما احتفت الساحة الأدبية ببروز سيرة ذاتية للأديب المبدع عبد الملك مرتاض المنعونة بـ "الحفر في تجاعيد الذاكرة"، "يصور لنا من خلالها أطوار الحياة التي عاشها منذ طفولته إلى حين تخرجه من جامعة السوربون بباريس"،[3] فعد رائد السيرة الذاتية بالجزائر.

وعليه فإن مسار السيرة الذاتية بالجزائر عرف تطورا بتطور الحضارة وتخلص الشعب من التبعية الاستعمارية.

[1]– برمضان إيمان، بن طلحة كريمة، **الأبعاد الاجتماعية في سيرة الحفر في التجاعيد الذاكرة**، لعبد الملك مرتاض، مذكرة الماستر، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، 2021، ص 28.

[2]– الحاج جفدم، المصدر السابق، ص 292.

[3]– برمضان إيمان، بن طلحة كريمة، م.س، ص 29.

الفصل الأول:
الطفولة مصدرا للإبداع الأدبي

1- الطفولة ذاتا محكيا في الشعر العربي:

تعتبر الطفولة أوّل مراحل الإنسان العمرية، منذ ولادته إلى غاية سن البلوغ وغالبا ما تكون هذه المرحلة نقطة تأثير على المرء مهما كبر فيحنُّ أحيانا لصباه، ويتحسّر أحيانا أخرى.

ولقد اهتم الشعراء العرب القدامى والمحدثين بتدوين بعضا من أحداث طفولتهم في قصائدهم "إذ يعكس استدعاء الشاعر للطفولة ارتداد إلى عالم جميل، تصاغ فيه الأفكار برؤى حالمة، تجعلها أكثر انفتاحا على الذاكرة".[1]

وسنورد فيما يلي تمظهر محكي الطفولة ذاتا في كل من الشعر العربي قديما وحديثا.

أ- في القديم:

يعدّ الشعر الجاهلي ديوان العرب والسجل الأساسي لكتابة الأحداث والوقائع الحاضرة والماضية، ولعل الطفولة والعودة إلى الصّبا من بين ما خلفه الشّعراء القدامى في قصائدهم، إلاّ أنّ استحضار الطفولة في العصر الجاهلي بات قليلا بالنسبة لاستدعائهم مرحلة الشباب.

وها هو ذا عنترة بن شداد يصف شجاعته مفتخرا بأناه الصبية قائلا:

أنّي ليـث عبـــوس ليس لي في الخلق ثاني
خلـــق الرّمح لكفي والحـســـام الهـنِـــدُوانِي
ومعي في المهد كان فــوق صــدري يؤنساني[2]

يفتخر الشاعر ببسالته في الأبيات السابقة وكيف كان الرّمح والسّيف يؤنسانه على عكس الأطفال الرّضع الذين تكون الألعاب مصدر أنس لهم.

وفي موضع ثاني بين عنترة شجاعته أيّام صباه قائلا:

أنا العبد الذي خبّـرت عــنه رعيت جمال قومي من فطامي
أروّح من الصّباح إلى مغيب وأرقــد بيــن أطــناب الخــيام[1]

---

[1]- عماد عبد الوهاب الضمور، **الطفولة في شعر محمود الشلبي**، مجلة دراسات، م41، مل2، 2014، ص 689.

[2]- الخطيب التبريزي، **شرح ديوان عنترة**، تق.وض، مجيد طراد، **دار الكتاب العربي**، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ص 195.

فيسرد الشاعر لعبه مسترجعا صغره، حيث كان من العبيد وكيف قضاه في رعي إبل قومه.

وفي حبّ المال منذ الصّغر يقول الأعشى.

وما زلت أبغى المال مذ أنا يافع وليدا وكهلا حين شبت وأمردا[2]

فيتجلى في البيت كيف كان الشّاعر يحبّ المال حبّا جمّا في صباه وتأصلت فيه هذه السّمة حتى شيخوخته.

وعند استرجاع ايّام الصّبا والطفولة يحضر ذلك الحيّز الذي ضم تلك المرحلة لدى الشعراء القدامى "فلقد كان الإحساس بالألم والحسرة، أو التشاؤم واليأس، وما يرافقه أحيانا من سخط أو تمرد أو نقمة، أو ثورة كفيلا بأن توجه أنظار الشّعراء صوب شعلة الماضي العربي القديم حيث الصفاء والنقاء"[3] فيستحضر الشاعر العربي القديم أماكن نشأته الأولى وأين قضى صباه.

فيسترجع أبزون العماني صباه في "نجد" قائلا:

يذكرني عهــد الصبا ونسيــمه نسيم الصّبا من نحــو نجد إذا هبا
وماضي شباب ينثر الدّمع كلمّا تصوّرته في النفس أو ينظم الكربا[4]

فيحن الشّاعر لنسيم "نجد" العليل، ويتحسّر على الماضي الجميل أيّام طفولته التي قضاها فيها.

وابن نباتة السعدي يستحضر صباه في نجد من بحر الطويل فيذكر قائلا:

---

[1]– الخطيب التبريزي، م.س، ص 188.

[2]– ميمون بن قيس، **ديوان الأعشى الكبير**، شر–تح: محمد حسين، مكتبة الآداب، الجماميزت، د.ط، د.ت، ص 135.

[3]– تأثير نعيم محمد أبوريش، **الحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثالث (334هـ–447هـ)**، مذكرة الماجتسير، جامعة الخليل، فلسطين، 2013، ص 100.

[4]– أبزون العماني، **ديوان أبزون العماني**، تح: هلال ناجي، **حولية كلية الإنسانية والعلوم الاجتماعية**، ع7، قطر، 1984، ص 135.

يجرُّ الصّبا قلبي إذا جرت الصّبا ويأبى إليـهـما القـلب إلاّ تقلبا
أيا ليـل نجد إنّ ليـل تـهـامة تنسم نسـيما منـك حتى تحبّبا[1]

فمظهر الشوق إلى نجد والطفولة فيها بارز في البيتين السّابقين، إذا يؤكد الشاعر أن ذكريات الطفولة تجرّه إلى الماضي الجميل في نجد.

أمّا في الحسرة على عمر الصّبا يبدع ابن خفاجة قائلا:

أَلا مَضى عَصرُ الصِبا فَانقَضى وَحَبَّـذا عَصـرُ شَبابٍ مَضى
بِـتُّ بِـهِ تَحـتَ ظِلالِ المُنى مُجتَنِـباً مِنـهُ ثِـمارَ الـرِضا
ثُمَّ مَـضى أَحسِـبُهُ كَـوكَـباً نكَـدِراً أَو بـارِقـاً مومِـضا
فَـما تَصَـدّى يَنتَـحي مُقبِلاً حَـتّى تَـوَلّى يَنـثَني مُعـرِضا
وَمَرَّ لا يَلـوي وَما ضَـرَّ مَن أَعـرَضَ لَو سَلَّـمَ أَو عَرَّضا
وَإِنَّما ضـاءَ بِلَـيـلِ الصِـبا صُـبحُ مَشيبٍ ساءَني أَن أَضا[2]

فالشاعر يصف صباه وكيف كان لون شعره أسودا إلى أن جاء المشيب وتغير لون الشّعر إلى الأبيض، ممّا يدل على أنّ طفولته كانت قوة وعنفوانا، ثم أضحى كل ذلك مجرّد ذكريات تلازم ابن خفاجة وتعيدهُ إلى الماضي.

ولأنّ دوام الحال من المحال، فإنّ الطفولة هي الأخرى لا تدوم لأيّ كان، وفي هذا الصدد يقول عبد الصمد إبن ثور عن صباه.

مالي قد أصبحـت ألا قد تنقضني بعـض النـواكث حبلا بعد إمرار
من بعدما كنت فيها ناشئا غمـرا كأنـني خـارج من بيـت عـطار
لقد ركبت العصا حتى قد أوجعني مما ركبت العصا ظهري وأظفاري
لا أبصر الشخص إلاّ أن أقـاربه معشر بنيا بصري من بعد أبصـار[3]

---

[1]– ابن نباتة السعدي، **ديوان ابن نباتة السعدي**، ج2، تح، در: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة، د.ط، 1971، ص 247.

[2]– ابن خفافة، **ديوان ابن خفافة**، تح: عبد الله سنده، دار المعرفة، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ص 187.

[3]– حميد ابن ثور الهلالي، **ديوان جميد ابن ثور الهلالي**، صنعه: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، د.ط، القاهرة، مصر، 1951، ص 95.

فيحدث الشاعر فيما سبق عن نفسه أيّام كان صغيرا يتمتع بالصحة وقوّة البدن والعينين، ثم يتحول إلى شيخ ضعيف الجسم، ذو بصر قليل.

وفي تعففه عن أمور الدنيا وهو صبّي يقول:

وقد كنت في بعض الصّباوة أتقي أمــورا وأخــشى أن تدور الدوائـر

وأعــلم أنّي أن تغطــيت مــرّة من الدّهر مكشوف غطائي فناظر[1]

فمن خلال البيتين تتضح الرزانة والحزم الذي كان يميّز عبد الحميد إبن ثور على عكس العديد من أترابه ممّن تميّزوا بالطّيش، وذلك من خلال ما سرده الشاعر عن ذاته وهو طفل في عمر الصّبا.

وفي استرجاع الطفولة وحبّ الصّبا يقول قيس بالملوح:

تعلقت ليلى وهي غــر صغــيرة ولم يبدُ للأتراب من تديـها حَجْمُ

صغيرين نرعى البهم يا ليت أنّنا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم[2]

قيس من خلال البيتين السابقين يتوق إلى ذلك العمر حيث كان طفلا يرعى الغنم ليلتقي بمحبوبته ليلى.

إذن فإنّ الطفولة ذات محكيّة في الشعر العربي القديم تجلّت رغم قلتها في دواوين العديد من الشعراء أمثال: عنترة بن شداد، الأعشى، أبزون العماني، ابن نباتة السعدي، ابن خفاجة، عبد الحميد إبن ثور وغيرهم وتمايزت بين افتخار بالذات وحسرة عليها وحنينا للمكان الذي أواها في صابها وتأسفا على انقضائها.

أما في الشعر العربي الحديث فإن استحضار الطفولة برز بشكل كبير لدى الشعراء المحدثين، وهذا ما سنسلط عليه الضوء في دراستنا الموالية.

[1]– حميد ابن ثور الهلالي، م.س، ص 88.

[2]- httpp//:www.aldiwan.net/poem25826.html 04:22,

ب-**في الأدب العربي الحديث:**

لعل ما يواجه الإنسان في طفولته من وقائع يبقى عالقا في ذاكرته التي تخزن بذلك أحداثا حيّة لا يستطيع التخلص منها "والشاعر لطبيعه الانفعالية من أكثر الناس قدرة على تصوير هذه الأحداث، وتوظيفها في عمله الفني، ممّا يكشف عن رغبات ساكنة، وأحلام نازفة".[1]

ويزخر الشعر العربي الحديث بنماذج عديدة لمحكي الطفولة ذاتا فقد أبدع الشعراء في توظيف واستدعاء الطفولة في نظمهم، وقد ظهرت أنماط مختلفة في محكي الطفولة لدى الشعراء المحدثين أهمّها:

الأم: لا شك أنّ وجود الأمّ هو أكثر ما يزين طفولة أيّ إنسان وإن فقدها لوعة تحرق فؤاده، كما هو الحال عند بدر شاكر السياب الذي عاش "صورة للحنان للضائع والتّساؤل الذي كان يلف عينيه وهو ينحدر بعيدا عن جيكور إلى مقبرتها النّائية ليسأل عن الصّمت المكتئب والاندثار الأزلي لأمومته، والفقدان المبكر للأشياء"،[2] فيسترجع بذلك لحظات أمضاها مع أمّه.

ففي أحد المقاطع من قصيدته: "أنشودة المطر"، يسترجع السّياب اللّحظات القليلة بعد وفاة أمّه قائلا:

مطر

مطر

يثاءب المساء، والغيوم ما تزال

نسخ ما تسخ من دموعها الثقال

كأن طفلا بات يهذي قبل أن ينام

بان أمّه التي أفاق منذ عام

فلم يجدها، ثم حين لج في السؤال

---

[1]- عماء عبد الوهاب الضمور، المصدر السابق، ص 689.

[2]- محمد صالح رشيد، **الطفل والطفولة في شعر السياب**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، م11، ع1، 2011، ص 168.

قالوا له "بعد غد تعود"

لا بد أن تعود[1]

فالشاعر يعود بذاكرته ليوم توفيت أمّه وهو ذو الست السنوات، وكيف أنّهم أخبروه أنّها ستعود بعد غد وهي كذبة شائعة للطفل حتى تخفّف وطأة الفاجعة.

وفي قصيدة غريب على الخليج حيث يسرد الشاعر كيف لأغنية استطاعت أن تعيد الزمن إلى الوراء فيتذكر الشاعر أمه قائلا:

وهي وجه أمي في الظلام.

وصوتها، ينزلقان مع الرّؤى حتى أنام[2]

فالسياب يصف وجه أمّه الذي لا يتذكره كثيرا وكيف كانت تحكي له القصص قبل النوم.

كما لعبت الجدة دور الأم عند السياب؛ لأنّها هي من ربة وتكبدت عناء رعايته في صغره فيذكر ذلك في قصيدته "رثاء جدتي" قائلا:

جـــدتي من أبـــث بعـــدك شكواي طـــواني الأســى وقـــل معيـــني
أنـــت يا من فـتـــحـــت قـــلـــبـــك بالأمس لحبي أوصدت قبرك دوني
فقلـــيـــل عـــلي أن أذرف الـــدمـــع ويـــقـــضي عليّ طـــول أنـــني....
ليتني لم أكن تعوّديني على العطف وآه لـو لـم أكـــن أو تـــكـــوني[3]

فبحسرة يسترجع الشاعر حنينه إلى جدته التي كانت أمّا بدلا أمّه فمنحته الحنان والعطف والحب في صغره، متمنَيا أنّها لم تفعل حتى لا يحبّها هو الآخر وتكون وفاتها مؤلمة.

ومن بين أهمّ من كتب عن الحنين إلى الأم أيضا ما قاله الشّاعر محمود درويش عن أمّه في قصيدته "إلى أمّي" فالقصيدة كتبها وهو وراء القضبان في سجون الاحتلال إذ يقول: كانت لدي عقدة أن أمي

---

[1]– بدر شاكر السّياب، **أنشودة المطر**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، مصر، 2012، ص 164.

[2]– المصدر نفسه، ص 07.

[3]– بدر شاكر السياب، **ديوان بدر شاكر السياب**، دار العودة، د.ط، بيروت، لبنان، 2016، ص 98.

تكرهني، لأنها كان دائما تعاقبني أو تعتبرني المسؤول عن أي أن شغب في البيت وفي الحارة، وتقول لي يا حلس يا ملس لم أعلم أن شعوري ليس صحيحا إلا حين دخلت السجن للمرة الأولى وأنا في السادسة عشرة من عمري زارتني في السجن وحملت لي قهوة، واحتضنتني وقبلتني فعلمت أن أمي لا تكرهني فكتبت أحنّ إلى خبز أمي".[1]

يقول في قصيدته:

أحنّ إلى خبز أمّي

وقهوة أمي

ولمسة أمي...

وتكبر فيّ الطفولة.

يوما على صدر يوم

وأعشق عمري لأني

إذا متُ

أخجل من دمع أمي[2]

من خلال المقطع نرى حنين الشاعر لخبز أمّه، وقهوتها وكيف مضت طفولته معها.

وأمّا نزار قباني فقد بالغ في حبّ أمّه واستدعاء الامومة في شعره فهو الشاعر الذي قال: "المطلب الثاني الذي أطلبه من حبيبتي ان تكون أمّي، لا أريدكم أن تتصوروا أنّني مصاب بعقدة أوديب... وأن نزعة العشق بي تتجه غريزيا نحو أمّي... هذا غير وراود، ولكنني أريد أن أقول إنني أعيش بحالة طفولة هي المفتاح إلى شخصيتي، وإلى أدبي، وكل محاولة لفهمي خارج دائرة الطفولة، هي محاولة فاشلة".[3]

---

[1]– حلم العودة في قصيدة.

[2]– محمود دوريش، **الديوان الأعمال الأولى**، رياض الرّيس للكتب والنشر، ط1، 2005، ص 106. (بلد)

[3]– نزار قباني، **قصتي مع الشعر**، رياض الرّيس للكتب والنشر، د.ط، لندن، إنجلترا، 1970، ص 155.

ولشدة تعلق نزار قباني بأمّه صرّح في قصيدته "خمس رسائل لأمّي" أنّه لن يجد امرأة تعامله بالطريقة التي تعامله بها أمّه حيث يقول:

عرفت نساء أوروبا.

عرفت عواطف الإسمنت والخشب

وعرفت حضارة التعب

وطفت الهند، طفت السند، طفت العالم الأصفد

ولم أعثر...

على امرأة تمشط شعري الأشقر

وتحمل في حقيبتها

إليّ عرائس السكر

وتكسوني إذا أعرى

وتنتشلني إذا أعثر[1]

فالشاعر يستذكر طفولته مع أمّه وكيف كانت تمشط شعره وتقدم له السكاكر، وتلبسه ثيابه، وكيف أنّه لا يزال وحيدا في غيابها ولم يجد من يعوّض مكانها.

في قصيدة أخرى يسترجع ذكرياته مع أمّه وهو طفل صغير قائلا:

أشهد أن لا امرأة

اتقنت اللّعبة إلا انت....

واحتملت حماقتي....

عشرة أعوام كما احتملت

[1]– نزار قباني، **أحلى قصائدي**، القصة السورية، ط16، سوريا، 1992، ص 44.

واصطبرت على جنوني مثلما صبرت...

وقلمت أظافري....

ورتبت دفاتري....

وادخلتني روضة أطفال....

إلا أنت.....[1]

فالشاعر هنا يحنّ إلى تلك الطفولة السعيدة مع أمّه الحنون التي كانت تتحمل حماقته وتقوم بواجب الامومة تجاهه كتقليم الأظافر وترتيب الدفاتر وادخاله الروضة.

إذن فإنّ الطفولة التي قضاها الشعراء المحدثين مع أمّهاتهم عمدوا إلى تدوين مقتطفات منها في قصائدهم.

مكان الصبا:

يشغل مكان الصّبا حيزا واسعا في الشعر العربي الحديث حيث وظف الشعراء المكان الذي قضوا فيه صباهم في قصائدهم فكما يقول باشلار: "كلّ ما عليّ أن أقوله عن بيت الطفولة هو ما يكفي لجعلي في حالة حلم يقظة ويضعني على عتبة الأحلام حيث أجد السعادة في الماضي"،[2] إذا إنّ استرجاع المكان الذي عاش فيه الشاعر في صغره بمثابة السعادة التي يهرب منها من واقعه الحالي المرير إلى ذكريات الحب السعيدة.

ففي حنين بدر الشاكر السياب إلى الرّيف حيث ترعرع ونشأ يقول:

شعاع من الماضي منير بخاطري

وذكر لما ولّى تعطر حاضري.

---

[1]– نزار قباني، **أشهد أن لا امرأة إلا أنت**، منشورات نزار قباني، ط6، بيروت، لبنان، 1983، ص 03.

[2]– غاستون باستلا، **جماليات المكان**، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1984، ص 42.

تــلم ففيــها دمــعــة وابتــسامة وتأتي فلا تبقى على صبر صابر
لــقد لاح لي من ذكرياتي بوادر وإن هــوى نفــسي بتــلك البوادر
وأبــرز لي وهمي وكان مصورا ذواهــب أيــام حــسان ســوافــر
فتلك رسوم الريف تحيا بخاطري كما عاش في الأوتار أنعام ساحر
وتلك الحقول الزهر تنسل بينــها جــداول مــاء بيــن وان وفــائر[1]

فنلاحظ أنّ الشاعر يستذكر أيام صباه في الريف واصفا جمال الحقول وجداول المياه.

ولأنّ جيكور هي من احتضنت طفولة الشياب فإنّها أكثر الأماكن ورودا في قصائده حيث يقول:

يا صباي الذي كان للكون عطرا وازهو أو تيها.....

كان يومي كعام تعدُّ المسرّة.

فيه نبضات لقلبي تفجّر منها على كل زهرة

كانت الأرض تلقى صباها لأول مرّة.

كان قابيلها بذرة مستترة....

كان للأرض بذرة مستترة ....

كان للأرض قلبً، أحسّ به في الدروب.

في البساتين في كل نهر يروّي بينها

آه جيكور جيكور.....[2]

فالشاعر يحكي عن طفولة السعيدة في جيكور، حيث كان يقضي أيامه متجوّلا بين البساتين والانهار.

كما يعد الشلبي مكان الصّبا من المقدسات التي يحن إليها مستدعيا إيّاه في قصائده فيقول في قصيدة بيتنا القديم:

---

[1]– بدر شاكر الشياب، **ديوان بدر شاعر الشياب**، م.س، ص 107.

[2]– بدر شاكر الشياب، **المعبد الغريق**، مؤسسة هنداوي، د.ط، مصر، 2017، ص 79.

إيّها البيت: أين منك زمان

كان ليس فيه منبه وبشارة؟

وحديث به تجمع أمّ

إخوة في محمة وطهارة

وانتظار لطرقة الباب –نستق–

بل فيها أبا نحبّ انتظاره[1]

حيث يتغنى الشاعر ببيت الطفولة الذي عاش فيه مع اخوته ووالديه حياة سعيدة يسودها البشرى والفرّح.

على غرار الشعراء الذين تحدثوا عن طفولتهم السعيدة، يشارك عبد الوهاب البياتي مسترجعا ذكريات الطفولة في مسقط رأسه، لكنها ليست بالسعيدة كما يذكر في ديوانه "الذي يأتي ولا يأتي" قائلا:

ولدت في جحيم نيسابور

قتلت نفسي مرتين ضاع مني الخيط والعصفور

بثمن الخبز اشتريت زنبقا

بثمن الدواء

صنعت تاجا منه للمدنية الفاضلة البعيدة

لأمنا الأرض التي تولد كل لحظة جديدة

نمت على الأرصفة الغبراء

اصطدت الفراشات وقعت في شراك النور

وسحب الخريف والغابات والزهور

[1]– أحمد شلبي، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ج1، الهيئة العامة لقصور الثقافية، د.ط، القاهرة، مصر، 2019، ص 320.

عملت نجمة الصباح، قلت: يا صديقة

أتزهر الحديقة؟

وتولد الحقيقة؟

من هذه الأكذوبة البلقاء

طفولتي الشقية الحمقاء

فراشة عمياء[1]

فيحكي الشاعر من خلال الأبيات السابقة عن مدينة صباه التي نشأ فيها التي صادف فيها الجوع والجحيم والتشرد.

إذن فإن استدعاء مكان الطفولة والصبا كان حاضرا في نظم الشعراء المحدثين.

ج- ذكريات الطفولة المتأرجحة بين الفرح والقرح:

لقد نوّع الشعراء المحدثين في سرد وقائع طفولتهم المتأرجحة بين السعادة والحزن وهذا لما عاشه كل شاعر في صباه، فدوام الحال من المحال، وكلّ شخص يمرّ بساعات فرح كما يمرّ بساعات ضيم.

ففي قصيدة "شعاع الذكرى" يسرد السّياب بعضا من ذكريات صباه قائلا:

آه لو تكتمني سرى لحديثك عن جنة تركت ورائي
عن هواي القديم في الريف والأحلام والأنس والمنى والرجاء
فالصّبا ضاحك وراعتي الحسناء في المرج بانتظار اللقاء
كم لجأنا إلى الشواطئ نستروح في لذة عطور السماء
نبشر الظل فوقنا سعف النخل ويلقي الهدوء صمت المساء
أقبل الموج – إذا رآنا إلى الساحل يرنو لوجهها الوضاء
كم خلونا إلى الحقول ضحى ننصت فيها إلى هماس الضياء
والنهيرات مالئات ترى السهل وحبيبا يشق صدر الفضاء[1]

[1]- عبد الوهاب البياتي، **الأعمال الكاملة "الذي يأتي ولا يأتي"**، دار الشروق، ط4، بيروت، لبنان، 1985، ص 11.

إذا فالشاعر هنا يسرد لنا أيّام صباه التي قضاها مع أترابه يلعب في الريف والشاطئ مستمتعا ومتحسرا على تلك الأوقات الماضية.

وأمّا محمود درويش فكانت طفولته عبارة عن مأساة ولا شك في ذلك فهو الشاعر الذي ولد في بلاد احتلها الصهاينة ولا زالوا إلى اليوم.

فيتحدث عن صباه قائلا:

كان القمر كعهده منذ ولدنا، باردا

الحزن في جبينه مرقرق....

روافدا .... روافدا...

قرب سياج قرية

خرّ حزينا

شاردا[2]

فالشاعر الفلسطيني يروي بشاعة طفولته وكيف كان يعاني والده في إعالة العائلة.

ويكمل قائلا:

كان أبي

كعهد محمّلا متاعبا

يطارد الرغيف أينما مضى...

لأجله ... يصارع الثعالبا

ويصنع الأطفال

والتراب

---

[1]– بدر شاكر الشباب، **ديوان بدر شاكر السياب**، م.س، ص 142.

[2]– محمود دوريش، م.س، ص 34.

والكوكبا

أخي الصغير اهترأت

ثيابه... فعاتبا

وأختي الكبرى اشترت جواربا

وكل من في بيتنا يقدم المطالبا.[1]

فتتجلى بوضوح صورة الأب الكادح في سبيل عيش أبنائه كما تتبلور طفولة الشاعر البائسة.

وعليه فإن الشعراء المحدثين لازموا توظيف محكي الطفولة بحلوها ومرها في قصائدهم.

إذن فإنّ الشّعر العربي الحديث عرف ما يسمى بالطفولة ذاتا محكيا، حيث عمد الشعراء إلى سرد وقائعهم الماضية إبّان زمن الطفولة فتمايزت بين أحداث سعيدة وأخرى تعيسة كما قاموا باستدعاء الأماكن التي شهدت تلك المرحلة بأساليب فنية رائعة.

2- الطفولة ذاتا في النثر العربي:

أ- محكي الطفولة في تراث النثر العربي القديم:

لقد برز محكي الطفولة على غرار تواجده في القصائد العربية القديمة في النثرك.

- ✓ **محكي الطفولة في السيرة الذاتية:**

تعدّ السيرة الذاتية مرآة الإنسان وأداته التعريفية عن ذاته إلاّ أنّها لم تبرز بشكل كبير عند العرب القدامى، ذلك أنّها كانت "تلبّى من خلال الشعر فنّ العربية الأول"،[1] وبالرغم من ذلك فقد احتضن النثر بعضا من السير الذاتية المنوعة.

[1]- محمود دوريش، م.س، ص 35.

ولقد سرد بعض الأدباء في سيرهم الذاتية عن طفولتهم، كما هو الحال عند عبد الوهاب الشعراني الذي عرض مقتطفات من صباه قائلا: ".... ثم حفظي للقرآن العظيم وأنا في سن التمييز ومواظبتي على الصلوات الخمس في أوقاتها من حين كان عمري ثمان سنين، فلا أتذكراني أخرجت صلاة عن وقتها عمدا إلى وقتي هذا ثم حفظي من الآفات وأنايتيم".[2]

فالشعراني يروي في هذا المقطع كيف حفظ القرآن منذ صغره وكيف كان مقيما للصلوات في وقتها.

كما يستدعي بعض الموافق التي مرّت عليه كقوله: "وتسخير التمساح لي حين غرقت في بحل النيل فوقف تحت رجلي حتى استرحت وعُمت".[3]

فهذه الواقعة حدثت مع السّارد في صباه فحفرت في ذاكرته وقام باسترجاعها وتدوينها في المستقبل.

تم يروي هجرته من الريف إلى مصر قائلا: "ثم مهاجرتي من بلاد الريف إلى مصر لقراءة العلم، ثم حفظي لمتون كتب العلم التي لم يحفظها أحد من أهل عصري".[4]

فبذلك يحكي صاحب اللطائف هجرته من أجل العلم وهو صغير.

كما يتحدث الغزالي عن حبّه للبحث والتعلم منذ صباه في سيرته الذاتية والمعنونة ب "المنقذ من الضلال" قائلا: "وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني، من أول أمري وربعان عمري غريزة وفطرة من الله وضعتا في حيلتي لا باختياري وحيلتي، حتى انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت على العقائد الموروثة، على قرب عهد سنّ الصبا".[5]

فنلاحظ تجلي محكي الطفولة ذاتا في المقطع السابق، حيث يروي الغزالي كيف أنّه أحب العلم والتفقه في أمور الدنيا.

---

[1]– عبد العزيز شرف، **أدب السيرة الذاتية**، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة، مصر، 1992، ص 48.

[2]– ابي المواهب سيدي عبد الوهاب الشعراني، **لطائف المنن الأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق**، صب، تص: أحمد عزو عناية، دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2004، ص 16.

[3]– المصدر نفسه، ص.ن.

[4]– أبي المواهب سيدي عبد الوهاب الشعراني، ض.ب، ص 16.

[5]– أبي حامد الغزالي، **المنقذ من الضلال**، تح: محمد محمد أبو ليلة، نور شيف عبد الرحيم فعت، جمعية البحث في القيم والفلسفة، د.ط، واشنطن، الو.م.أ، 2001، ص 20.

وعن حبه للاستكشاف والبحث عن الحقائق مذ كان طفلا يقول الغزالي: "ولم أزل في عفوان شبابي وريعان عمري منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن (...) أتوغل في كل مظلمة، وأتهجم على كل مشكلة، واتقحم كل ورطة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة واستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لأميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبدع".[1]

يسرد الكاتب كيف بدأ اهتمامه بالخوض في غمار البحث والتجارب الي استمر معه إلى طيلة حياته.

اذن فإن محكي الطفولة ذات تبلور في السير الذاتية لدى العرب القدامى.

✓ **محكي الطفولة في المذكرات:**

تعرف المذكرات على أنّها جنس أدبي "حكي استعدادي نثري يقوم به شخص واقعي عن الأحداث التاريخية الخارجية التي عاصرها أو سمع عنها من معاصريه متحريا الدقة ومبرزا أثره فيها وتأثيره بها، مع التركيز على إبراز قضايا عصره ومشكلاته".[2]

أما عن محكي الطفولة ذاتا في هذا النوع الأدبي فقد عرف حضورا محتشما إذ تقل المصادر التي تناولت استحضار أيام الصّبا والطفولة في المذكرات: "فقد بدأت الكتابة في هذا الشكل الإبداعي في القرن العشرين".[3]

وبالرغم من ذلك فإننا نجد بعض المذكرات التي تناولت بين طياتها الحديث عن الصّغر كما هو الحال عند عبد الله بن بلقين الذي ذكر في كتابه "البيان" مذكرات الأمير عبد الله بن بّلقين بعضا من حياة الطفولة حيث يقول عن تنشئته: "وقد كنا معشر أهل بيت المملكة نرى من آكد ما نتأدب به إعمال السياسة في طلب الرياسة والسعي لها بكل الوجوه، واحضار الأذهان، مالو أن المفرط في بعض ذلك منا يكون أفقه الناس في سائر من العلوم، لكان عندنا ناقصا، لا يصلح لهذا الشأن حتى وقع التنافس على ذلك.

---

[1]– المصدر نفسه، ص.ن.

[2]– أسماء الحمادي عبد الرحمن بوعلي، **بين السيرة الذاتية والمذكرات الأدبية**، مجلة فصل الخطاب، م8، ع2، جوان 2020، ص 124.

[3]– حبيب بوزوادة، **أدب المذكرات في التراث العربي**، قراءة في الثغرات الجماني لابن سحنون، مجلة اللغة العربية، م24، ع2، 2022، ص 58.

وقتلناها نحن علم الرياضة أنفسنا لها، وما أجرانا عليه آباؤنا وبصّرونا فيه من أوّل نشأتنا".[1]

فعبد الله بن بلقين يتحدث عن تكوينه السياسي منذ كان صبيا صغيرا.

إذن فإنّ المذكرات في الأدب العربي القديم احتضنت نوعا ما جزءا من الحديث عن استحضار الطفولة وأيام الصبا.

✓ **محكي الطفولة في الاعترافات:**

يعتبر أدب الاعتراف فنّا من الفنون النثرية الذي اشتهر منذ القدم "يري أحداثا وحقائق بصفة صادقة، صريحة تبسط الذات أمامها بعد أن أعيدت صياغتها من جديد (...) فليس الاعتراف حكاية بسّرد حوادث مبتذلة أو تسرد حياة الشخص كيفما شاء واتفق، ولكنه محدود بأطر فنية عامة تميزت عن بقية الأشكال القريبة منه سيرة ذاتية، مذكرات، يوميات".[2]

وقد تضمنت بعض الاعترافات قديما: الحديث عن الصّبا والصغر كما هو الحال عند ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة" فيذكر قائلا: "وعني أخبرك أني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر، فما استحسنت من ذلك الوقت سوداء الشعر، ولو أنه على الشمس أو على صورة الحسن نفسه وإني لأجد هذا في أصل تركيبي من ذلك الوقت، لا تؤاتيني نفسي على سواه، ولا تحب غيره البتة".[3]

فابن حزم يعترف بحبه لجارية شقراء منذ صباه ولم يتعلق قلبه بسواها أبدا.

كما يعترف بصباه الذي قضاه مع النساء قائلا: "ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حب الشباب وحين تفيل وجهي، وهنّ علمتني القرآن، ورويننني كثيرا من الأشعار، ودربنني في الخط، ولم يكن وكدي وأعمال ذهني من أو فهمي وأنا في سن الطفولة جدًا".[4]

---

[1]– عبد الله بن بلقين، **مذكرات الأمير عبد الله**، بكتابة التبيان، نش–تح: إ.ليقي بروقنسال، دار المعارف، د.ط، مصر، 1955، ص 11.

[2]– وردة لعراب، **آداب الاعترافات**، قراءة نظرية للماهية وإشكالية المصطلح، مجلة مقاربات، م2، ع28، الجزائر، 2017، ص 388.

[3]– علي بن حزم الأندلسي، **طوق الحمامة في الألفة والألاق**، هنداوي، ط1، مصر، 2016، ص 38.

[4]– علي بن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص 40.

ففي هذا المقطع يعترف ابن حازم كيف نشأ مع النساء وقضى طفولته إلى أن بلغ سن الشباب وأنهن من علمنه القرآن والعلم وكتابة الخط.

✓ **محكي الطفولة ذاتا في التراجم:**

تعرف التراجم على أنّها ذلك الجنس الأدبي: "يهتم بتتبع حياة أفراد شكلوا أيقونات فكرية وعلمية وأدبية خالدة على مر التاريخ"،[1] كما يمكن لهذه الأيقونات أن تترجم لذاتها.

ولعل ممّن أشار إلى مقتطفات من صباه في ترجمته لنفسه "علي بن زيد أبو الحسن بن ابي القاسم البيهقي في كتاب **'مشارب التجارب'** وهو كتاب مفقود تحدث عنه ياقوت الحموي في معجم الأدباء حيث يقول البيهقي: ومولدي يوم السبت سابع عشرين شعبان سنة تسع وتسعين وأربعمائة في قصبة السابزوار من ناحية بيهق (....) فأسلمني أبي بها إلى الكتاب، ثم رحلنا إلى ناحية ششتهذ من قرى تلك الناحية، ولوالدي بها ضياع، فحفظت في عهد الصّبا "كتاب الهادي للشادي، تصنيف الميداني" و"كتاب السامي في الأسامي"."[2]

يروي البيهقي أيّام حياته الأولى التي قضاها في النهل من العلم وحفظ المصنفات العلمية.

وابن الجوزي هو الآخر يتحدث عن صباه في ترجمته لنفسه "ولم يفرد ترجمة برسالته، وإنما أتى بها عرضا في رسالته سماها" لفتة الكبد إلى نصيحة الولد" وهي نصيحة موجهة إلى ابنه، ولكنه ضمنها غير قليل من اخباره ومؤلفاته".[3]

حيث يذكر ابن الجوزي في هذه الرسالة قائلا: "...فإني أذكر نفسي ولي همة عالية، وأنا في المكتب ابن سنين وأنا قرين الصبيان الكبير قد رزقت عقلا وافرا في الصغر يزيد على عقل الشيوخ، فما أذكر أني

---

[1]– نجوى منصوري، عبد المالك مغشيش، **السير والتراجم في الأدب المغربي القديم مسوغات الكتابة وآليات السرد**، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، م2، ع8، 2019، ص 298.

[2]– ياقوت الحمودي الرومي، **معجم الأدباء**، رشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج1، تح: إحسان عباس، دار الغريب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1993، ص 1760.

[3]– شوقي ضيف، **الترجمة الشخصية**، م.س، ص 44.

لعبت في طريق مع الصبيان قط، ولا ضحكت ضحكا خارجا، حتى إني كنت، ولي سبع سنين أو نحوها، أحضر رحبة جامع فلا أتخير حلقة مشعبذ"[1]

فالجوزي هنا يعدّد خصاله وهو صبي في ترجمته كرزانته ورجاحة عقله.

ومنه نستنتج أنّ تراث النثر الأدبي القديم عرف محكي الطفولة ذاتا في العديد من الفنون النثرية كالسيرة الذاتية، المذكرات، التراجم الاعترافات وغيرها.

ب-محكي الطفولة في السّرد العربي الحديث والمعاصر:

لقد شهد العصر الحديث والمعاصر بروز محكي الطفولة بين دفات السّرد العربي خاصة في الفنون النثرية كالمذكرات، السّير الذاتية، اليوميات...الخ.

✓ **محكي الطفولة في المذكرات:**

عمد الكثير من الأدباء المعاصرين إلى استحضار أيّام الطفولة في مذكراتهم بالرّغم من كون المذكرات معروفة على أنّها عمل "يجمع بين محطات من السيرة الذاتية ومواقف تاريخية أو أحداثا تتعلق بقضايا كبرى فإنها في هذه الحالة تنتقل إلى مساحة المذكرات التي تعد في النهاية وثيقة تاريخية، وشهادة على جزء من الأحداث بالصواب والخطأ وفق رؤية الكاتب وما لديه من معطيات وبراهين حول ما يقول ويوثقه".[2]

- **حافظ إبراهيم:**

تلك الشخصية الفذة والذي لمع نجمه في فن المذكرات؛ حيث خصص جزءا من مذكرته في الحديث عن طفولته، فيسرد بعضا منها قائلا: "اليوم عيد ميلادي الثالث والسبعين... في العشر سنوات الأولى من عمري في محرم بك بالإسكندرية لم أذق طعم الطفولة، فقد ولدت رجلا مسؤولا، أخذني "أبي من يدي

[1]- نقلا عن شوقي ضيف، **الترجمة الشخصية**، م.س، ص 46.

[2]- ياسر جابر الجمال، **السيد حافظ بين سرد السيرة ومذكرات السرد**، دراسة في الموقف والدلالة، عالم الكتب الالكترونية، د.ط، مصر، 2023، ص 12.

للعمل معه (...) فمنذ ميلادي وحتى عشر سنين لا أتذكر أني لعبت في الشارع مع من هم مثلي من الأولاد.[1]

فالسيد حافظ يستحضر وهو في عمر الشيخوخة طفولته التي ما قضاها في اللعب كالأطفال إنّما كان يكدح رفقة أبيه.

وفي موضع آخر يستذكر دخوله، إلى المسرح صغيرا قائلا: "بدأت أدخل المسرح في سن 12 سنة، وفي هذا السن بدأت حياتي تتغير".[2]

فالكاتب يروي بداياته في المسرح في عمر الصّبا.

- **عبد الرحمن الرافعي:**

تعتبر مذكرات عبد الرحمن الرافعي وثيقة تاريخية تحدث من خلالها عن فترة الطفولة التي عاشها، حيث نلمس ذلك في مواضع كثيرة كحسرته على أمّه حيث يقول: "فوالدتي مصرية صميمة، وقد توفيت في 21 يوليو 1893 (...) وكنت لا أزال طفلا، إذ كانت سني لا تزيد على أربع سنوات وبضعة أشهر، وبالرغم من صغر سني إذ ذاك فإني أذكر صوتها جيدا وأذكر حنانها عليّ وعلى اخوتي".[3]

يسترجع الرافعي بمرارة وفاة أمه وهو صغير معدّدا خصالها وحنانها عليه وهو في تلك المرحلة.

كما يتحدث عن دراسته وتعلّمه ونيله لشهادة الابتدائي بمدرسة "رأس التين" بالإسكندرية فيذكر الرافعي قائلا: "...ونلت فيها الشهادة الابتدائية في يوليو سنة 1901، وكنت لصغر سني لا أفقه كثيرا معنى الشهادات وأذكر أن أحد أقراني بالمدرسة حين علم بالنبأ، وكنت أجهله، سارع إلى الحضور لمنزل والدي بالأنفوشي ليبشرني بالنجاح".[4]

فاستحضار الطفولة يتجلى في الموضع السابق، وهو عند تذكر الرافعي لنجاحه في الابتدائية وتدوينها في مذكرته.

---

[1]- السيد حافظ، **حكايات وذكريات الكاتب السيد حافظ كيف تصبح كاتبا مشهورا**، تح، تص در: ياسر جابر الجمال، عالم الكتب الالكترونية، ط1، مصر، 2023، ص 149.

[2]- المصدر نفسه، ص 149.

[3]- عبد الرحمن الرافعي، **مذكراتي 1889-1951**، هنداوي، ذ.ط، مصر، 2022، ص 09.

[4]- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 13.

- **الجواهري:**

محمد مهدي الجواهري هو الآخر صور جانبا من طفولته في مذكراته، حيث يستذكر طفولته القاسية في فصله معنونا بابا من أبواب بـ ."صبي في عالم الكبار" حيث يقول فيه: "... فقد شاء والدي ولسوء الحظ أن يدفعني دفعا إلى عالم الكبار ووجاهتهم المتزمتة مختزلا طفولتي فوق ما تتحمل بل لاغتيالها أحيانا".[1]

فالسارد يروي كيف قضى سنواته الأولى وكأنّه شاب، وهذا بسبب والده الذي أفرط في حبّه.

وعمّا لاقاه الجواهري الصغير في بيت معلم الخط يقول: "....انتقلت وأنا بين السادسة والسابعة من عمري، على مرحلة أكثر جدية، والأصح أكثر جهامة، وقساوة في التعلم، فقد قدر والدي سوء خطي وحاجتي لمزيد من القراءة فأخذني إلى سيد مشهور في المدينة، لقب نفسه ب (جانب عالي) وأقام كتابه في الطابق الثاني من أحد لواوين الصحن العلوي، والسبب الأساسي في علو هذا الجناب المزعوم هو قسوته على الأطفال".[2]

فالجواهري حسب استرجاعه للطفولة في مذكرته يسرد قساوة طفولته التي قضاها في التعلم بعيدا عن اللّهو واللّعب مع أقرانه.

وعليه فإن محكي الطفولة ذاتا شغل حيزا في مذكرات العديد من الأدباء والشخصيات الفذة، مثال السيد حافظ، عبد الرحمن الرافعي، الجواهري وغيرهم كثر ممن كانت مذكراتهم وعاء لاحتضان ذكريات الطفولة.

- ✓ **محكي الطفولة في السير الذاتية:**

ممّا لا شك فيه أن السّيرة الذاتية هي أكثر أنواع السّرد العربي الحديث استحضارا للصبا كونها تعد: "قصة حياة شخص، ترجمة لحياته الداخلية، تجارب شخصية حقيقية، تثير الرغبة في الكشف عن عالم مجهول، وهي خلاصة السنين من تجارب ومآس وأفراح واقعية ووجدانية".

[1]– محمد مهدي الجواهري، **مذكراتي**، ج1، دار المحبتي، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص 49.

[2]– المصدر نفسه، ص 49.

ولعل من بين أهمّ من استحضر صباه في سيرته الذاتية.

- **طه حسين:**

لقي كتاب الأيام لطه حسين شهرة واسعة، إذ يعد هذا الأخير كتاب سيرة ذاتية روى من خلاله الكاتب حياته بدءا من طفولته التي حفرت في ذاكرته، كيف لا وهو الذي عاش كفيفا لم تبصر عيناه النّور بل عاش ببصيرة أنعم الله عليه بها.

حيث يذكر طه حسين استذكاره لطفولته وتفاصليها قائلا: ".... ولكن ذاكرة الأطفال غريبة، أو قل إن ذاكرة الإنسان غريبة حين تحاول استعراض حوادث الطفولة، فهي تتمثل بعض هذه الحوادث واضحا جليا كأن لم يحصل بينها وبينه من الوقت شيء، ثم يمحي منها بعضها الآخر كأن لم يكن بينها وبينه عهد".[1]

فيخبرنا الكاتب كيف أنّ بعضا من ذكريات طفولته لم يمحى مهما مرّ الزمن على عكس بعض الذكريات التي تتآكل وتختفي من الذاكرة مع مرور الوقت.

كما يسرد في أحد المقاطع عن إحدى تجاربه التي غيّرت بعضا من طباعه قائلا: "... ولكن حادثة واحدة حدث ميله إلى الاستطلاع، وملأت قلبه حياء لم يفارقه إلى الآن كان جالسا إلى العشاء بين اخوته وأبيه، وكانت أمه كعادتها تشرف على حفلة الطعام، ترشد الخادم وترشد أخواته اللائي كن يشاركن الخادم في القيام بما يحتاج إليه الطاعمون، وكان يأكل كما يأكل الناس، ولكن لأمر ما خطر له خاطر غريب إما الذي يقع لو أنه أخذ اللقمة بكلتا يديه بدل أن يأخذها كعادته بيد واحدة؟ وما الذي يمنعه من هذه التجربة؟ لا شيء وإذا فقد أخذ اللقمة بكلتا يديه وغمسها من الطبق المشترك ثم رفعها إلى فمه، فأما إخوته فأغرقوا في الضحك، وأمّا أمّه فأجهشت بالبكاء، وأما أبوه فقال في صوت هادئ حزين، وما هكذا تؤخذ اللقمة يا بني .. وأما هو فلم يعرف كيف قضى ليلته".[2]

فحادثة الأكل هذه جعلته يتخبط في دوّامة من الحرج أثرت في حياته القادمة وجعلته مقيّدا في تصرفاته بشكل مفرط.

---

[1]– طه حسين، **الأيام**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، القاهرة، مصر، 1992، ص 22.

[2]– طه حسين، الأيام، المصدر السابق، ص 26.

كما سيتذكر بعضا من المواقف والأحداث وهو صغير قائلا: "ولكنّه لا يعرف كيف حفظ القرآن ولا يذكر كيف بدأ ولا كيف أعاده، وإن كان يذكر من حياته في الكتاب مواقف كثيرة، منها ما يضحكه الآن، ومنها ما يحزنه يذكر أوقاتا كان يذهب فيها إلى الكتاب محمولا على كتف أحد أخويه، لأن الكتاب كان بعيدا، ولأنه كان أضعف من أن يقطع ماشيا تلك المسافة".[1]

فنرى أنّ طه حسين يسترجع أيّام صباه الأولى وكيف بدأ في تعلم القرآن في الكتاب.

في موقف آخر يحكي الكاتب عن طفولته حين افتخر شيخه به فيقول: "وأقبل سيدنا إلى الكتاب من الغد مسرورا مبتهجا، فدعا الشيخ الصبي بلقب الشيخ هذه المرة قائلا: "أمّا اليوم فأنت تستحق أن تدعى شيخا".[2]

السّارد هنا يقص كيف أن شيخه افتخر به حين القرآن وقام بتشريفه.

وعليه فإن طه حسين يحكي عن طفولته في كتاب "الأيام" جامعا بين ذكريات مؤلمة وأخرى سعيدة.

- **فدوى طوقان:**

تعد فدوى طوقان من الشاعرات العربيات اللّواتي اخترن تدوين قصص حياتهن، فقد سردت الشاعرة في كتابها "رحلة جبلية رحلة صعبة" تفاصيلا من حياتها منذ نشأتها الأولى.

بحيث بدأت كتابها بحديثها عن بدايتها في هذا العالم فنراها في عدة مواضع تسرد عن طفولتها؛ كسردها للكلام الذي كانت تسمعه من والدتها وهي صغيرة بأنّها لم يكن مرغوب بها حيث تقول: "خرجت من ظلمات المجهول إلى عالم غير مستعد لتقبلي أمي حاولت التخلص مني في الشهور الأولى من حملها بي، حاولت وكررت المحاولة، ولكنها فشلت عشرة مرات حملت أمي خمسة بنين أعطت إلى الحياة وخمس بنات ولكنها لم تحاول الإجهاض قط إلا حين جاء دوري هذا ما كنت أسمعها ترويه منذ صغيري".[3]

---

[1]- المصدر نفسه، ص 32.

[2]- المصدر نفسه، ص 44.

[3]- فدوى طوقان، **رحلة جبلية رحلة صعبة سيرة ذاتية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن، 1985، ص12.

فهذه الكلمات المؤلمة التي كانت تتلقاها الشاعرة في صغرها حفرت في ذاكرتها رغم مرور الزمن.

في مثال آخر تحكي فدوى طوقان كيف أنّها كانت غير راضية عن طفولتها فتذكر: "لم تكن الظروف الحياتية التي عاشتها طفولتي مع الأسرة لتلبي حاجاتي النفسية، كما أن حاجاتي المادية لم تعرف بتلك المرحلة الرضى والارتياح وإذا كانت الطفولة هي المرحلة الحاسمة التي ترسم الشخصية وتقررها لما لها من أهمية في حياة الفرد فإن طفولتي لسوء الحظ ولحسن الحظ- لم تكن بالطفولة السعيدة المدللة".[1]

فمقت تلك المرحلة العمرية وعدم الرضا بها بارز في المقطع السابق فالشاعرة كانت تحلم بحياة أفضل وهي طفلة صغيرة.[2]

في مواضع أخرى كثيرة كانت تروي الشاعرة نفور أمها منها فتقول: "كثيرا ما سمعت أمي تذكر طرائف ونوادر عن طفولة اخوتي مما كان يثيرنا نحن الصغار فنضحك وكنت أنتظر دائما أن تروي شيئا عن طفولتي، نادرة مثلا، أو حادثة طريفة طرافة الحوادث التي ترويها عنهم، ولكن دوري الذي كنت انتظره لم يكن ليأتي قط، فأبادرها بالسؤال بلهفة طفولية: احكي لنا يا أمي شيئا عني، ماذا كنت أفعل؟ ماذا كنت أقول؟ بالله أحكي ولكنها لم تكن لتبل غليلي ولو بذكر طرفة تافهة وانكمش مني داخلي وأحس بلا شيء في: أنني لا شيء وليس لي مكان في ذاكرتها".[3]

فهذا الموقف كغيره من المواقف التي يشعر قارئ سيرة فدوى طوقان أنّها كانت تشعر بالألم جراء معاملة والدتها لها في صغرها.

وعليه فإنّ فدوى طوقان تسرد طفولتها التي عاشتها بحقن وألم بين دفات سيرتها الذاتية.

- **جبرا إبراهيم جبرا:**

تعد سيرة جبرا إبراهيم جبرا من كتب السيرة الذاتية الشهيرة "ولأنّه عاش حياة حافلة بالأحداث التي يعتقد أنها جديرة بالذكر، وجد أنه من الصعب أن يجعل سيرته الذاتية في كتاب واحد، لذلك دون فصولا من

[1]- المصدر نفسه، ص 18.

[2]- المصدر نفسه، ص 20.

[3]- فدوى طوقان، المصدر السابق، ص 21.

سيرته في كتاب "البئر الأولى" ثم أكمل سيرته في كتابة الموسوم ب "شارع الأميرات" متجاوز أجزاء كبيرة من أحداث حياته"،[1] وأمّا عن طفولته التي تهمنا في الدراسة فكانت في كتابه الأوّل.

وبالحديث عن طفولته يقول جبرا إبراهيم جبرا "حالما بدأت أكتب عن أولى ذكرياتي الطفولية، وجدث أن علي أن اختصر كثيرا أو أحذف كثيرا وأهمل الكثير وإلا فإنني لا أنتهي (...) فقررت أخيرا الاكتفاء بالسنين الاثنتي عشرة الأولى من حياتي أو بالأحرى بسبع أو ثماني سنوات منها منتهيا بانتقالي مع والدي من بيت لحم إلى القدس عام 1932".[2]

فالكاتب يخبر المتلقي أنّه سيكتفي بسرد أحداث من طفولته مكتفيا ببعض السنوات فحسب.

في سرده لما كان يسمعه عن الشياطين وهو صغير يقول: "وكنت اسمع أحاديث عن الشياطين أيضا: وهي سوداء لها قرون حادة، وتنفث من أفواهها النيران، وتطرقع بأذيالها الطويلة، غير أنها لا تحب رائحة البخور، ولا التراتيل الجميلة، ولا أظن أنها تحب مصادقة الأطفال أو أكل الأرز بالحليب".[3]

فجبرا كغيره من الأطفال تأثر في صباه بالحكايات الخرافية عن الشياطين التي سمع عنها في الكنيسة.

وفي رفض مدير المدرسة إدخاله مع أخيه سيرد: "كان الصبي يذهب إلى مدرسة الألمان في المدبسة فقالت له أمي: "خذ اخاك معك، حتى أعرف كيف انصرف إلى شغلي".

غير أن مدير المدرسة، عندها أخذني أخي إليها معه، نظر التي نظرة سريعة وهز رأسه، وسأل يوسف: "أخوك هذا كم عمره؟"

أجاب "خمس سنوات"

قال المدير "أرجعه إلى البيت وليأت إلينا بعد سنة".[4]

---

[1]– تناي عبد الفتاح شاكرة، **السيرة الذاتية في الأدب العربي**، فدوى طوقان، جبرا إبراهيم، واحسان عباس، نموذحا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص 186.

[2]– جبرا ابراهيم جبرا، **البئر الأولى فصول من سيرة ذاتية**، دار الآداب، ط1، بيروت، لبنان، 2009، ص 08.

[3]– جبرا إبراهيم جبرا، المصدر السابق، ص 21.

[4]– جبرا إبراهيم جبرا، المصدر السابق، ص 22.

نرى أنّ الكاتب يسترجع ذكرى رفض مدير مدرسة أخيه إدخاله معه بتفاصيلها رغم كبر سنه وهو كان لا يزال طفلا صغيرا.

وعليه فإن جبرا إبراهيم جبرا من الأدباء الذين راقتهم ذكريات الطفولة فوظفوها في سيرهم الذاتية.

إذن نستنتج أن السيرة الذاتية من أكثر الفنون النثرية احتضانا لمحكي الطفولة، فقد برع العديد من الأدباء في توظفيه كطه حسين، جبرا إبراهيم جبر، فدوى طوقان....الخ.

الفصل الثاني:
ملامح محكي الطفولة ذاتا في الحفر

استطاع عبد الملك مرتاض نسج ذكريات من حياة صباه وشبابه العالقتين في ذاكرته من خلال سيرته الذاتية "الحفر في تجاعيد الذاكرة"، ولعل ما يهمنا من هذه السيرة لوحات من ذكرياته وهو صغير حيث "راح السارد ينسج خيوط سنوات الطفولة الأولى التي كان عنوانها الأبرز العذاب الشقاء والعناء، والحرمان بأسلوب سردي متميز، استوت فيه الحقيقة التاريخية وأدبية السرد، حتى صار حجاجه مقنعا لسحر البيان وعذوبة البديع".[1]

وبذلك فقد تمظهر محكي الطفولة ذاتا في سيرته من خلال:

1- المجتمع:

يعلق بذاكرة عبد الملك مرتاض ذكريات مع المجتمع الذي عاش فيه، والأشخاص الذين تعايش معهم:

أ- الأسرة:

شكلت الأسرة تلك الصورة التي حفرت في ذاكرة الكاتب في صباه فهي المأوى الأول الذي تفتحت عيناه فيه.

ولعل أول من بدأ الحديث عنها في نصه هي:

✓ **الأم:**

التي يحن إليها ولا يتذكر كثيرا من ذكرياته معها، فهي الأم الكادحة لأجل سعادة صغارها، فيقول عن ذلك "ربما أقدم ذكرى لا تبرح تحتفظ بخيوط واهية منها في نفسك هي حين كنت تتعلق برقبة أمك وهي قاعدة تغزل الصوف، وأنت تداعب ضفيرتي شعرها الأسود الطويل، لم يكن ممكنا أن تتعلق في أمك من أمامها، ولا أن تأخذ بيدها وتمشي معها متجولا بين الحقول والأشجار.[2]

يستذكر عبد الملك مرتاض وهو صغير جلسة أمه وضفيرتي شعرها وهي تغزل الصوف وكيف بقي في نفسه ذلك الحلم وهو أن تتجول أمه معه ويداعبها لكن الظروف القاسية حالت دون ذلك.

---

[1]- الحاج جغدم، **تيمات السرد في السيرة عبد الملك مرتاض**، الحفر في تجاعيد الذاكرة دراسات لسانية، م2، ع08، الشلف، الجزائر، مارس 2018، ص 286.

[2]- عبد الملك مرتاض، **الحفرفي تجاعيد الذاكرة (لوحات من ذكريات الصبا والشباب)**، دار القدس العربي، ط3، الجزائر، 2022، ص 09.

أما عن كدح الأم ليحيا أبناؤها بسعادة يقول: "لم تكن للوالدة لحظة من الراحة فتتجول أو تتنزه كما كان يجب أن تفعل لو كانت تلقى من يكفيها مؤونة البيت، بل كانت تشتغل ولا تتوقف، بياض نهارها وطائفة من سواد ليلها، كالنحلة النشيطة... فكيف كان يجوز لك معها نصيب من النزهة والعناية؟"،[1] فالكاتب يضع أعذارا حقيقية لوالدته التي تمنى لو شاركته يوما نزهته أو اعتنت به وهو صبي.

وعن القيام الأم بدورها في فلي أصناف القمل الذي أصاب عبد الملك مرتاض وهو صغير يقول: "وزمن كانت أمك تمسك بك بين أحضانها ثم تأخذ في فلي عبائتك المتسخة البالية، فكنت لا تزال تراها تصقع أجناس القمل التي حشرت في البطائن والظهائر حشرا، في ثنايا لباسك الوحيد، وبين ظفري إبهامها المدميين المضجرين بدماء القمل الخبيث في براعة ليس كمثلها شيء"،[2] فالكاتب يسترجع أيام القمل الذي عاش معه في طفولته، ولا يستطيع نسيانها بسهولة، وكيف كانت والدته تتعامل مع هذه الحشرة اللعينة.

كما يتذكر يوم لدغت عقرب أمه فيقول: "وليلة لدغت عقرب أمكم وكان الوقت عشاء، وكان الظلام قد أرخى سدوله، وكانت الوالدة تتألم و**تراجع** من أثر السم الزعاف(...) وكان البؤس كله حاتم، وكان الشقاء كله قائما، وكان الهم كله دائما"،[3] فهذه ذكرى مؤلمة كادت فيها أمه أن تموت لم تغادر ذاكرة عبد الملك مرتاض.

وعن ألم المخاض الذي كان يجيء الأم أثناء كل ولادة يذكر: "وأما حين كان المخاض يأتي أمكم فقد كانت الخالة فاطمة ربما علقت لها حبلا مفتولا من الحلفاء في بعض خشبة ذلك السقف، فكانت أثناء الولادة تمسك به وتجذبه، إليها جذبا لتستعين به على التخلص مما في أحشائها من الحمل العسير، وهو الوضع الذي كنتم تسمعونه وتشهدونه بكل تفاصيله وطقوسه المثيرة".[4]

نرى عبد الملك مرتاض لا يزال يتذكر تفاصيل ولادة أمه عندما كان طفلا صغيرا مسترجعا إياها في كبره داخل سيرته.

إذن نلاحظ أن الكاتب يسترجع ذكريات كثيرة له مع أمه في صباه كيف لا وهي المنبع الأول للعطاء الذي لا ينقطع إلا بانقطاع نفسها والذكرى التي لا تمحى من المخيلة إلا إذا فقدت الذاكرة.

---

[1]- عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 10.

[2]- المصدر نفسه، ص 13.

[3]- المصدر نفسه، ص 44.

[4]- المصدر نفسه، ص 46.

✓ **الأب:**

قضى عبد الملك مرتاض الطفل صباه رفقه والده "سي الفقيه" كما كان يعرف آنذاك، وهو أحد حفظه القرآن في القرية، فيسترجع ذكرياته معه في مواضع كثيرة كحلقه لرأس عبد الملك مرتاض الصغير بموسى حافية مؤلمة فيقول: "وكنت لا تزال تصرخ من تحت قبضة الوالد وتستغيث ولا من يغيث، وكأنك عصفور غدف به حين يقع في الشباك، وكانت تلك الموسى حافية صدئة، وملوثة وقذرة، مما جعل جلد رأسك يصاب بتورمات لازمتك شهورا طوالا، ولم تبرأ منها، إلا بعد أن تركت فيه آثار كالحفر لا تزال باقية إلى اليوم".[1]

يسترجع عبد الملك مرتاض أياما كان يحلق والده رأسه بالموسى الحافية التي ظل أثرها إلى اليوم وكيف كان يصطبر على ألمها فلم يكن بيده حيلة غير ذلك.

وعن يوم الختان يسترجع الكاتب قائلا: "وهو الذي لا تزال تذكره تذكرا، فقد كان الزمن ضحاء، وقد كنت عشية الأمس لاحظت حركة غير عادية في البيت فكانت الأم تهيئ دقيق القمح لتعجنه الخالات مع الفجر، وكان الوالد قد هيأ شاه صغيرة فذبحها وسلخها العم".[2]

فالكاتب يستحضر يوم ختانه وتفاصيله وما يشير الى ذلك لاعتماده عبارة لا تزال (تذكره تذكرا).

وعن استغرابه حول ذبح والده للشاة يقول: "أن يؤدب أبوك مأدبة للطلبة والأقارب شيء جميل، لكن كيف أمسى يصدق على الناس وهو فقير محروم؟ ومتى كان حفظة القرآن يتصدقون على سوائهم، وهم الذين كانوا يرون أن الصدقات لم تكن تجوز إلا فيهم من دون العالمين"[3] فالكاتب يشير إلى أن هؤلاء الحفظة للقرآن ما كان تقديم الصدقات من شيامهم. إلا أن في يوم ختانه تم ذبح شاة وهذا كان أمر غريب بالنسبة له خصوصا وأنهم كانوا يعيشون في فقر مدقع.

ولأنه لم يكن يعرف سوى القرآن ر الرقى يتذكر الكاتب كيف أن والده تصرف يوم لدغت العقرب زوجته قائلا: "وأما أبوكم فقد كان لا يزال منهمكا في رقي، أمكم العزيزة بالرقية تلو الرقية وهو لا يكاد يعرف في الحقيقة لا ما يأتي، ولا ما يدع من الأمور".[4]

---

[1]– عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 17.

[2]– المصدر نفسه، ص 46.

[3]– المصدر نفسه، ص 47.

[4]– المصدر نفسه، ص 42.

فالكاتب يتذكر تلك اللحظة حين كان الأب يرقي والداته خوفا عليها من اللدغة التي تعرضت لها فما كان بيده حيلة غير ذلك.

يسترجع الكاتب أيضا كيف كان يهاجر والده من أجل جمع المال قائلا: "وكان الوالد حين تطحنه الفاقة يضطر إلى الهجرة القصيرة إما نحو مدينتي بلعباس أو وهران ليعود من بعد شهور قلائل بدراهم مزجاة تكون وقعت له في الغالب من كتابة الحروز، وإما إلى المشارطة في قرية من قرى مسيردة المتناثرة على قمم الروابي المتنائية".[1]

فالفاقة اللعينة كانت سببا في هجرة الوالد إلى المدن المجاورة من أجل توفير بعض النقود.

كما كان الوالد يعمد إلى تحفيظ أبنائه بعض الرقى، حيث يقول عبد الملك مرتاض، "وكان والد أثناء ذلك، لا يزال يحفظكم رقى تقون بها أنفسكم من العين (...) وتعاويذ ترددونها لاتقاء مخاطر لدغ العقارب والثعابين وكل الآفات الممكنة".[2]

فالوالد كان يخشى على أبنائه من أن يصابوا بعين شيطانية فيعلمهم القرآن من اجل الحماية كما يعتقد.

فالأب يشغل حيزا واسعا من ذكريات عبد الملك مرتاض (الطفل)، ذلك لأنه كان ملازما له كثيرا في صغره.

✓ **الجد والجدة:**

يستذكر عبد الملك مرتاض بعضا من الذكريات عن جديه حيث يتحدث عنهما في مواضع قليلة، كحديثه عن جده قائلا: "على حين أن أحقر حجرة وأصغرها كانت تقع جنوب غربي الدار فكانت مخصصة للجد من الأب سي احمد بن ابي طالب الذي عرفته، مذ عرفته زمنا لا يريم، فكان يقضي حاجته الطبيعية في غرفنه تيك المظلمة النتنة (...) ولم يلبث الجد ان توفي فاستراح وأراح".[3]

فالكاتب يتذكر جده الذي لا يكاد يذكر له ذكريات جمعته وإياه ربما لسبب مرضه.

إلا يوم وفاته فيقول في ذلك: "ولم يلبث أن توفي جدك من والدك الذي ظل مقعدا مهلا منبوذا، في غرفة ندية مظلمة حقيرة كانت تقع جنوب غربي الدار، وكنت تلاحظ أن الشيخ المريض كان يقضي

---

[1]– عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 70.

[2]– المصدر نفسه، ص 70.

[3]– المصدر نفسه، ص 40.

حاجته حيث ينام... فكانت تلك الغرفة إلى ظلامها وحقارتها نتنة... ولعل من أجل ذلك لم تهز وفاته فيما يبدو ذلك على الرغم مما كان له من صيب قبل أن يبلى بتيك العلة المقعدة، أهل مسيردة".[1]

مما يبدو أن الكاتب يحزنه ما آل اليه جده بعدما كان ذو مكانة قبل أن يقعد بسبب المرض وما وجد عناية إلى أن وافته المنية.

أما عن جدته فيتذكرها الكاتب معددا بعض صفاتها قائلا: "وكانت حجرة اخراة تقطنها الجدة أنيقة نظيفة تعاف أن تشرب إلا في إنهائها، وأن تطعم إلا في صحنها".[2]

فالكاتب يذكر الصفة التي تميزت بها جدته رقية وهي سمة النظافة المفرطة.

أما عن وفاتها فيتذكر ذلك قائلا: "ولم تلبث جدتك من أمك، المقدمة رقية الأنيقة إلا قليلا لحقت بالجد في الدار الأخيرة ولأول مرة رأيت وجه ميت مكشوف فقد جاء أحد العوام ليشهد جنازتها ويبدو انه كان أحد أقاربها الأبعدين، فدخل غرفتها التي كانت بجوار غرفتكم العجيبة، قبل أن تهورها الأمطار، ثم كشف عن وجهها المغطى، وتأمله ساعة، ثم أعاد تغطيته وأنت تنظر وتعجب،[3] فالكاتب يتذكر وفاة جدته وكيف تصرف قريبها.

وعليه نرى أن الكاتب لا يغوص في تفاصيل طفولته مع جديه، بالرغم من أنهما كانا يقطنان بجانبهما.

✓ **الإخوة:**

لما كان الإخوة هم الأشخاص الذين جمعهم سقف واحد، فقد تشاركوا ذات الأيام واللحظات معا، ففي أحد المواضع يروي لحظاته مع أخته زليخا وأخوه الأكبر محمد قائلا: "فأما أختك زليخا فقد كانت يومئذ تحتطب من الغابة فكانت تجمع حزمة من الحطب الجزل، وإما أخوك الأكبر محمد فقد كان يرافقها وهو يسوق شويهات يرتعها في تيك المراعي الغابية الخضراء وأما أنت فقد كنت كأنك صبي الشرف... فلا أنت كنت ترتع، ولا أنت كنت تحتطب،[4] فالشارد يروي تلك الذكريات التي تكرر حدوثها في غابة الحريقة بين رعي أخيه للغنم واحتطاب أخته الحطب ولهوه ولعبه هو دون القيام بعمل كونه كان لا يزال صغيرا جدا.

---

[1]– عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 62.

[2]– المصدر نفسه، ص 39.

[3]– المصدر نفسه، ص 62.

[4]– المصدر نفسه، ص 22.

وعن تشارك البطانية في فصل الشتاء مع إخوته يقول عبد الملك مرتاض: "وتيك البطانية العجيبة تلك التي كان الإخوة والأخوات يختصمون من تحتها كلما جنهم الليل في فصل الشتاء خصوصا وهم من شديد البرد يصطكون ولم يكن أحد منكم يتغطى في الحقيقة، النوم إلا اثنان منكم وأنتم في حال سيئة من البرد الشديد والسعيدان حقا من كان الحظ يبسم لهما فيضطجعان في أقصى أحد الطرفين على نحو يتيح لهما أن يلويا على جنبيهما الغطاء كالكفن المحكم الطويل".[1]

فالكاتب يستعرض ويسترجع ذكرياته مع إخوته في ايام الشتاء وهم لا يملكون سوى غطاء لا يكاد يدفئ اي أحد منهم سوى من كان في طرفيه.

ومن أقسى ما يتذكره عبد الملك مرتاض وفاة أخيه الكبير فيقول:" ثم لم يلبث أن توفي أخوك محمد الأكبر الذي حفظ القرآن في سن العاشرة، وتوفي في السنة عينها، وكان آية في الذكاء الوقاد ولم يشك كثير من الناس في أن العين هي التي أصابته فاخترمته وهو في سن الصبا اختراما وكان الوالد يعلق عليه آمالا في تحصيل العلم عراضا ولم يمرض الغلام إلا زمنا قصيرا".[2]

كما يروي المأساة التي حلت بالعائلة جراء هذه الفاجعة قائلا: "وأما أمك فقد أغمي عليها بعد الموجة العارمة من الانفعالات الحادة التي إعرتها ومن وقع الصدمة الرهيبة التي وقعت عليها... وأما الوالد فقد دخل في غرفة جدتك رقي (...) لم يتقبل الواقع المرير، رفضه رفضا، وكنتم لا تزالون تسمعونه وهو يجوب الغرفة ذهابا وإيابا ويعدد بمآثه الفقيد الصغير كما تعدد المرأة الولهى فقد كيل صبره وفقد التحكم في عواطفه ولم يعد يدري ما يجري من حوله، إنه الجزع الذي أصابه فكاد يودي بحياته هو أيضا"،[3] فالبؤس الذي حل بالعائلة بعد موت الابن الأكبر أحس به عبد الملك مرتاض (الطفل) وبقي محفورا بذاكرته.

ولم يلبث على فاجعة الأخ محمد حتى لحقت به أخته زليخا حيث يقول الكاتب: "توفيت زليخا الجميلة الطويلة الشقراء ذات ليلة، وكانت في سن الثامنة عشرة تقريبا فلم تحضر وفاتها لا أنت ولا أبوك، فقد كنتما تقرأن القرآن في إحدى الجنائز بعيدا على ظهر البجائي، فقد كان الموت استشرى في الناس للمجاعة التي كانت خبرتهم فسمدتم لها سمودا".[4]

---

[1]– عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 37.

[2]– المصدر نفسه، ص 63.

[3]– المصدر نفسه، ص 64.

[4]– المصدر نفسه، ص 65.

وشاء المولى أن تتوفى أخته الأخرى المسماة فاطمة وهي صبية صغيرة فيقول: "ثم لم تلبثوا إلا قليلا حتى توفيت أختك الاخراه فاطمة الزهراء وهي صبية رقيقة وسيمة كانت في سن الثامنة تقريبا".[1]

فكانت بذلك مأساة أخرى تضاف إلى العائلة التي شاء لها الرحمان أن تحيا في بؤس وفقر وحرمان.

فذكريات عبد الملك مرتاض مع إخوته بحلوها ومرها وهو صبي صغير يحكيها في سيرته كونها لم تغادر ذاكرته رغم مرور الزمن.

ب-**المجتمع الداخلي:**

وهم الشخوص الذين كانوا يحيطون بعبد الملك مرتاض (الطفل) خارج محيط الأسرة ك:

✓ **الفقير المنور:**

صديق الوالد واحد الجيران، يستذكر يوم حمله من أجل الختان فيقول: "حملك الفقير المنور التومي بين يديه، كما يحمل طائر جارح عصفور صغيرا، ثم شمر عن عباءتك القشبية، وأفرج ما بين فخذيك، أدخلك إلى زاوية من الحجرة المظلمة التي كنتم فيها تنامون وتحيون"،[2] فالشارد يتذكر هذه الشخصية التي برزت في طفولته في أحد المواقف كيوم الختان.

✓ **المرأة البولندية:**

وهي خياطة يستذكرها الكاتب وهو صغير في سيرته قائلا: "وأنت لا تبرح تذكر ذلك اليوم الذي كدت تقطع فيه سبابتك اليسرى بموسى كنت لا تزال تلح على شحذها لتصيرها ماضية إلى حد تمشي معه قادرة على تحليق الشعر... لكنك، وبحركة محرومة، قطعت جزءا صالحا من سبتك اليسرى مما يلي بطنه فنزف منها دم غزير...فذهب بك أبوك إليها -وربما كان ذلك منه أيضا في بعض التدبير!- هي تبتسم لك كالملاك الوديع، ذلك الجرح بالقطن المبلل بالكحول الذي لامس جلدك لأول مرة في حياتك، ثم ضمدته لك بضمادة جديدة نافعة وأنت مستعذب لعلاجها سعيد"،[3] فالراوي يتذكر ذلك الموقف الذي حدث له مع الخياطة البولندية حاكيا إياه ضمن متن سيرته.

---

[1]- عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 65.

[2]- المصدر نفسه، ص 17.

[3]- المصدر نفسه، ص 20.

✓ **سي عبد القادر بوطالب:**

وهو عم والد عبد الملك مرتاض ومعلمه الأول في أيام الصبا يسترجع معه هو الآخر بعض الذكريات أثناء تعليمه الحروف العربية: "وكان يأمرك بصوته الجهير ويلوح عليك بسوطه الطويل وكأنه كان يريد أن يقصف بهما أذنيك الغضتين وجسمك الصغير أن اقرأ يا هذا فكنت تحاول أن تقرأ على أي نحو وأن لم تكن من القارئين، فكنت تهز رأسك والشق إلا على من جسمك من وراء إلى أمام ومن أمام إلى وراء، في حركة رتيبة تعلمتها ممن كانوا قبلك من الحافظين.

ألف ما ينقط شي! والباء واحد من تحت، والتاء زوج من فوق...،[1] فسي عبد القادر بوطالب الأكبر أحد الشخصيات التي تعايش معها الكاتب وهو صغير حيث أن أولى أطوار الدراسة كانت على يده.

✓ **حفظة القرآن:**

وهم أكثر ما تردد في سيرة الكاتب وهو صغير، وكان أكثر ما يميزهم حبهم للولائم "وكانت الفرحة، في الحقيقة، تغمر كل حفظة القرآن بنعي الموتى لأن ذلك كان يتيح لهم، وخصوصا في فصل الشتاء، أن يلتقوا فيطعموا كسسيا بالحم الضأن، ولو كان مفتولا بدموع أقارب الهالك وكانوا لا يكترثون، ولم يكن أحد من الحفظة يذكر انه هو أيضا سيموت يوما ما فيسمى من الهالكين"،[2] نرى مقت الكاتب للحفظة الذين كانوا يتلهفون لموت أحد من آهل القرية فقط بغية الأكل ولا يهمهم شيء سواه.

✓ **سي الغريب:**

وهو الفقيه الذي تولى تحفيظ الكاتب القرآن في خربيش القمرة حيث قال: "ولم يهلك إلا وقع صوت يصدم حاجبك الأيسر (أنت لا تزال تذكر انه الأيسر حقا، لأنك كنت تجلس عن يمين الفقيه الذي كان يخيط جلبابا من الصوف لأحد فلاحي القرية وأن كان سوطه يذهب إلى البعيد) فكان وقعه عليك كالصاعقة، فأخذ الدم يتفجر من حاجبك على عينيك وعلى وجهك، ثم امتد إلى صدرك وعباءتك البيضاء، والدهشة والروع يملان عينيك"،[3] فظلم السي الغريب لعبد الملك مرتاض (الطفل) واضح في المقطع فمهما كان خطأ الطفل يبقى صبي صغير لا يستحق ضربا بهذا الشكل.

فالشخصيات التي كانت تحيط بالكتاب خارج محيط أسرته يتذكر بعضا منها، وعن المواقف التي جمعته بها في سيرته.

---

[1]– عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 50.

[2]– المصدر نفسه، ص 22.

[3]– المصدر نفسه، ص 17.

2- مكان الصبا:

يشكل مكان الطفولة عنصرا أساسيا من العناصر التي ظلت راسخة في ذاكرة عبد الملك مرتاض، وكيف بإمكانه نسيانه "وكل أماكن لحظات عزلتنا الماضية والأماكن التي عانينا فيها من الوحدة، والتي استمتعنا بها ورغبنا فيها(...)الإنسان يعلم غريزيا أن المكان المرتبط بوحدته مكان خلاق، يحدث هذا أحين تختفي هذه الأماكن من الحاضر، وحين نعلم أن المستقبل لن يعيدها إلينا"،[1] ويزخر الحفر في تجاعيد الذاكرة (لوحات من ذكريات من الصبا والشباب) بأماكن متنوعة مفتوحة ومغلقة.

أ- **الأماكن المفتوحة:** وهي الأماكن التي تتسم بالحرية ك:

✓ **الغابة الحريقة:**

وهي المكان الذي كان المتنفس الوحيد تقريبا للكاتب وهو صغير حيث يستذكر أيامه في غابة "الحريقة" في مواضع كثيرة منها قوله: "وكنت لا تزال تهوي شطر غابة "الحريقة " التي ربما ما سميت بذلك إلا لأن غابتها الأصلية الكثيفة كانت تعرضت لحريق مهول فأتى عليها، فلم يبق منها إلا الشجيرات الصغيرة القابلة للتكاثر"،[2] فنراها يستذكر أيامه في الغابة حريقة وهو متذكر أيضا الغابة الحريقة سبب تسمينها بالحريقة وهو أن أشجارها حرقت ولم يبق منها إلا شجيرات صغيرات.

كما يتذكر أيام الصيد فيها وهو ذو الاثني عشرة سنة أو نحو ذلك حيث يقول:" وقد أزمعت اليوم على البحث عن الأعشاش... انه فصل الربيع الخصيب فلقد كنت متحررا من رعي المواشي فكنت طليقا كالهواء، ولذلك كنت لا تزال تبحث في أطراف أشجار الدوم والديس المتصلة بسوق الزرع المخضر عن أعشاش الحجل"،[3] فغابة الحريقة كانت مكانه المفضل للصيد.

✓ **ظهر البجائي:**

[1]- غاستون باشلار . جماليات المكان، المصدر السابق، ص 40.

[2]- عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 17.

[3]- المصدر نفسه، ص 50.

وهي القرية التي كان يسكن فيها عبد الملك مرتاض وهو صغير، ويذكر قائلا: "كنت ترافقهم من أجل المتافقة مع تيك الطبيعة الجميلة القاسية معا، والتي كانت تحيط بكوخكم البسيط في "ظهر البجائي".[1]

كما يذكره في موضع آخر قائلا: "وتراك تتحمس لترداد مثل هذه العبارات التي لم تكن تعرفها في ظهر البجائي حين كنت تلعب بالحجر والترا".[2]

فظهر البجائي هي القرية الأولى التي احتضنت صغر الكاتب حيث تواجد منزله فيها.

- **قرية تيزي حماد:** يذكر الكاتب هذا المكان الذي كان حاضرا في صباه والذي زاره الوالد من أجل الاسترزاق فيقول: "ثم **'شارط'** الوالد بعد ذلك بسنوات في قرية تيزي حماد التي كانت تقع في الكثف الغربي من جبل رأس العبادة المقابل لظهر البجائي".[3]
- **الظاهر:** وهي إحدى القرى التي هاجر إليها عبد الملك مرتاض وهو صغير "وقررت دون أن تخبر أحدا، ان تذهب الى **'الظاهر'** لتدرس في مسجدها".[4]

وغير هذه الأمكنة المفتوحة كثير: كالوديان والروابي والهضاب وغيرها.

ب-الأماكن المعلقة:

تتمثل في تلك الأماكن المحدودة التي عاش فيها عبد الملك مرتاض صغره ولعل أهمها : البيت الذي بقيت تفاصيله محفورة في ذاكرة الكاتب ذلك "أن البيت القديم، بيت الطفولة وهو مكان الألفة مركز تكييف الخيال وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذاكر[5] فالكاتب في "الحفر في تجاعيد الذاكرة" لا يترك تفصيلة إلا و يذكرها عن بيت طفولته الذي مثل مظهرا من مظاهر الفقر المدقع فخصص لها عنوانا 'الدار الأولى" فيقول: "دار كأنها وجها من الإطلال الخالية. ولا أطلال إمرئِ القيس وإطلال سوائه من الشعراء: الخيالية لكنها كانت تسمى على ذلك دار على أساس أنها حقا دار. وأن لم تكن في الحقيقة دار[6] لأنها لا تتسم بما سبق إطلاقا بصفات البيت والمأوى.

---

[1]- عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 22.

[2]- المصدر نفسه، ص 56.

[3]- المصدر نفسه، ص 72.

[4]- المصدر نفسه، ص 88.

[5]- المصدر نفسه، ص 09.

[6]- عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 72.

يصفها أيضا قائلا: 'كانت تيك الحجرة العجيبة المستطيلة الشكل ليس فيها نافذة ولا حتى كوة يتسرب منها شيء من الهواء أو الضياء فكان الداخل إليها نهارا أشبه بداخل فيها ليلا لإظلامها. وكان بابها مشدودا من أخشاب مربوط بعضها إلى بعض كما شاء الأمر لها أن تكون فكان الهواء والضياء والزنبور والذباب والنحل والنمل. والبعوض واليرسوع والثعابين والأفاعي وكل أنواع الحشرات والدويبات والهوام".[1]

وعلى الرغم من حالتها المزرية كانت الدار مكان اجتماع الأسرة و ترابطها فبقول: 'وكان بجدران تيك الحجرة التي كانت تؤويكم فتحشرون إليها كل مساء مجتمعين'.[2]

نرى الكاتب يستخدم لفظة '**تحشرون**' والتي لا تليق إلا بالحشرات وذلك لصغر حجم الغرفة الذي ما كانت يتسع لأفراد العائلة كلهم.

وأما عن بعض ذكرياته فيها يقول: 'وأما حين كان ينتهي بك المطاف إلى أقصى شرقي الحجرة فقد كنت تجد أمامك السرير الذي كان يتصدر تلك الغرفة العجيبة'.[3]

فبيت الطفولة لعبد الملك مرتاض رغم ما يشوه من فقر مدقع وحرمان إلا انه كان مكانا لاجتماع الأسرة أما وقت النوم أو على الأكل.

الخربيش: وهو المكان الذي بدا عبد الملك مرتاض يتعلم فيه القران فيتذكر قائلا: 'وتقعد الآن مقعد المتعلم المتذلل على الحصير العتيق . المنسوج من الحلفاء الخشنة التي كنت تعدها حين تدق كناعم الحرير والمفروش على الغبار المتطاير الذي كان يثير على أرضية 'الخربيش،[4] فخربيش القرية هو أول مكان تعلم فيه الكاتب حروفه الأولى.

أما الخربيش الثاني فهو الخربيش الذي درس فيه السي الغريب الشرس عبد الملك مرتاض (الطفل) القرآن أيضا: 'وكان الوالد أوصى صديقه الفقيه سي الغريب بك خيرا كثيرا . فانتقلت إلى خربيش القمرة فكنت تحفظ هناك القرآن تحت رعاية الفقيه الجديد'.[5]

---

[1]– المصدر نفسه، ص 31.

[2]– المصدر نفسه، ص 31.

[3]– المصدر نفسه، ص 33.

[4]– المصدر نفسه، ص 55.

[5]– عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 82.

بيت الأسرة سي الطياب: وهي احد البيوت الكريمة التي كانت تطعم عبد الملك مرتاض وهو في خربيش القمرة: 'وكنت كثيرا ما تتناول طعام الغذاء في القرية هناك في بيت أسرة سي الطياب الكريمة تحديدا'.[1] فالأماكن المغلقة التي قضى فيها عبد الملك مرتاض أيامه وهو صغير كانت بين البيت وخربيش قرية البجائي حيث تعلم أولى حروفه وأيضا خربيش القمرة.

ج- **الذكريات:**

لعل الذكريات التي عاشها عبد الملك مرتاض وهو صغير كانت ذكريات مؤلمة يسودها الحزن والبؤس ويتخللها بعض المشاهد السعيدة وهذا ما نلمسه في "الحفر في تجاعيد الذاكرة".

✓ **ذكريات الفقر:**

يطغى على "الحفر في تجاعيد الذاكرة" ذكريات مؤلمة نظرا المعاشه من ظروف قاسية وفقر مدقع في صباه حيث يقول:

وها أنت!
العري ترتدي والحفاء تمشي
فراشك العراء وغطاءك السماء

ترتدي الشحوب تقتات الجوع تأكل الطوي تشرب الظمأ إذا عز الماء الشروب.

وفوقك عباءة مرقعة بيضاء وليس لك سراويل ولا أي ستره سفلى سواؤها لباسا[2]

فالفاقة اللعينة حرمت عبد الملك مرتاض (الطفل) من ابسط الحقوق.

ولان الفقر لم يمنح العائلة سوى كوخ حقير يقول الكاتب: "كان حقيرا لا يمكن وصفه إلا بما كان عليه فكان إذا هطل عليكم المطر قطر وكان إذا جنكم الليل خرجت عليكم العقارب والعناكب والفئران وحتى الثعابين"[3] فالمكان الذي كان لا بد أن يكون مصدرا للأمن والاستقرار عدا دون ذلك وصار حيزا للخوف وألا استقرار.

وعن عدم وجود غير لباس واحد يقول الكاتب: "لم يكن لك ولا لأخواتك ولا لامك ولا لأبيك ولا للداتك من الطفل أثواب اخر ترتدي حين تتسخ المرتداة أصلا! بل كان القمل يعشش في بطائنها فلا يزال

---

[1]- المصدر نفسه، ص 85.

[2]- المصدر نفسه، ص 10.

[3]- المصدر نفسه، ص 44.

يتوالد ويتكاثر وربما كان ينتشر على ظهائرها أيضا حين يهيج به ذلك التكاثر فكنت تراه يتجول فيه آمنا مطمئنا".[1]

فعبد الملك مرتاض وعائلته لم يملكوا غير بدلة واحدة لكل فرد يغشاها القمل والوسخ وما كان ذلك الا بسبب الفقر.

إذن فان مظاهر البؤس والحرمان كانت طاغية على حياة عبد الملك مرتاض (الطفل) فلا مكان كان يلائم عيش الصبي ولا أكل كان يشبع بطنه ولا حياة كانت تليق به.

✓ **الذكريات الجميلة:**

رغم ما كابده وما لقاه عبد الملك مرتاض (الطفل) من بؤس وحرمان إلا انه يستذكر بعض اللحظات الجميلة كيوم وقوعه على بيض حجل في الغابة حين ذهب للصيد: "ولقد وقعت لأول مرة في حياتك على وكن حجله فيه تسع بيضات جميلات؟ فسررت بذلك أعظم السرور وكدت ترفع عقيرتك صائحا بما عراك من انتشاء وحبور.[2]

وأثر اصطياد لأرنب وسعادته بذلك يقول: "لقد ابتسم لك الحظ ذلك اليوم مرتين اثنتين ولا يقع هذا بسير في مألوف الأحوال ولم تكد تضيق الذي وقع وكدت تخرج عن طورك (...) فكدت إذا ترفع عقيرتك فتنادي أمك فتبشرها باصطياد أرنب سمين...بعد وقوع على عرش بيض حجل جميل"[3] فالكاتب سيتذكر تلك اللحظات الجميلة حين اصطاد أرنبا.

وعن فرحته بوفاة الشيخ الفقيه يقول: "ولم يلبث الشيخ الفقيه العجوز إلا قليلا حتى توفي . ففرحت أنت بتلك الوفاة فرحتين اثنتين فأما الفرحة الأولى فلأنك تخلصت من الاختلاف إلى الخربيش (...) وأما الفرحة الاخراة فلان اضطراب الناس وانهماكهم في تحضير طقوس الجنازة وذبحهم شاة لتهيئة عشاء قوامه الكسكسي ليطعمه حفظه القران هنيئا ومعهم فقراء درقاوة في سهرتهم الدينية الليلية . كان كل أولئك يمتعك ويسليك"،[4] فعبد الملك مرتاض (الطفل) كباقي الأطفال الذين يستمتعون بالولائم وعدم الذهاب إلى المدرسة في البرد.

---

[1]– عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 53.

[2]– المصدر نفسه، ص 50.

[3]– المصدر نفسه، ص 53.

[4]– عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 61.

وعليه نرى أن عبد الملك مرتاض يسترجع بعضا من الذكريات التي بقيت محفورة في ذاكرته رغم كل الآلام والماسي التي مر بها.

د- **استخدام ضمير المخاطب في الحكي:**

تتميز سيرة عبد الملك مرتاض باعتماده على ضمير المخاطب أنت في الحكي وذلك من اجل إعطاء النص نوعا الشمولية والتوسع الحواري فيتحول النص من الخصوص إلى العوام وكأنه يشرك القارئ في تقاسم بعض الخصوصيات ليكون بذلك السارد (الشخصية الرئيسة) متعددة وليس واحدا.[1] [1].

يستخدم الكاتب ضمير "الانت" ربما لتواضع منه فيبتعد من خلاله عن الذاتية فمن خلال قراءة نص "الحفر في تجاعيد الذاكرة" تحديدا في جزئية الصبا يشعر المتلقي وكأنه المقصود من العمل أو هو الشارد كقوله: "كنت كثيرا ما تتناول طعام الغذاء"[2] [2] فيحس القارئ وكأنه هو من تناول الطعام.

وقوله أيضا وها أنت ...!

ومن أنت؟ وكيف أنت؟ بل وما أنت؟ في بل لست في حقيقة الأمر كلا أنت أم لعلك لست أنت أصلا! قد يكون ذلك وقد لا يكون فتجلى استخدام ضمير "أنت" والذي جاء مباشرا فيما سبق.

إذن فان استخدام عبد الملك مرتاض لضمير "الانت" جعل نصه يتمتع بالتميز كون إن هذا الضمير قليل الاستخدام في عميات السرد.

-

[1]- عكاشة فاطمة، **البنية السردية في الحفر في تجاعيد الذاكرة لعبد الملك مرتاض**، مذكرة الماجيستر، جامعة وهران، 2012، ص 104.

[2]- عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة**، المصدر السابق، ص 85.

الخاتمة

بعد دراستنا لموضوع "محكي الطفولة في سيرة الحفر في تجاعيد الذاكرة لعبد الملك مرتاض" توصلنا الى نتائج أهمها:

- ان السيرة الذاتية من أقدم الفنون السردية القديمة الذي بدا بالتطور العصور الزمنية.
- كما ان محلي الطفولة ذاتا تبلور وبدأ قبل؛ الإسلام ثم تطور حيث سرد القدامى عن صباهم في قصائدهم كعنتر بن شداد والاعشى وغيرهما، في حين روى نزار قباني وإيليا أو ماضي والسياب والبياتي عن صغرهم داخل متون نظمهم وذلك لاهتماماتهم الشديد بصباهم.
- اما في النثر، فنجد الناثرين القدامى يوظفونه في مذكراتهم كالأمير عبد الله بن بلقين وفي سيرهم والاعترافات والتراجم وغيرها.
- في حين خصص الادباء المعاصرين أجزاء كبيرة من مذكراتهم وسيرتهم في الحديث عن طفولتهم أمثال الرافعي، طه حسين، الجواهري...الخ.
- اما في الجزائر فأننا نلمس أحد اهم السير الذاتية لشخصية فذة وهو عبد الملك مرتاض الذي صنع من صغره لوحة ظلت محفورة في ذاكرته بين دفات مؤلفة "الحفر في تجاعيد الذاكرة".
- فقد أبدع الكاتب في الحديث عن صغره داخل الكتاب مصورا بدقة تفاصيل لم يمحها الدهر وكموافقة مع اسرته ومعارفه.
- إضافة الى تذكر امكنة قضى فيها صغره او تجول فيه؛ كمنزلة البائس الحقير، وغاية الحريقة التي لطالما رعى وتنزه واصطاد فيها.
- أيضا تراه يروي بدقة ذكرياته الخزينة جداء الفاقة اللعينة فيستذكر أيام القمل، وموت الاخوة والفرقة الحقيرة.
- كما يتذكر أياما جميلة قضاها كموسم الصيد او الولائم.

- الصفحات صغره الكاتب وما عاشه في الطفولة جاءت على لسان المخاطب، انت، مما دل على براعة الكاتب وتواضعه محسسا القارئ وكأنه هو بطل الحكاية؟

قائمة المصادر والمراجع

المعاجم والقواميس:

1- ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصر، **لسان العرب**، م4، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، تح- مر: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، **دار الحديث**، القاهرة، مصر، 2008.

المصادر:

1- أبزون العماني، **ديوان أبزون العماني**، تح: هلال ناجي، **حولية كلية الإنسانية والعلوم الاجتماعية**، ع7، قطر، 1984، ص 135. ابن نباتة السعدي، **ديوان ابن نباتة السعدي**، ج2، تح، در: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة، د.ط، 1971.

2- ابن خفافة، **ديوان ابن خفافة**، تح: عبد الله سنده، دار المعرفة، ط1، بيروت، لبنان، 2006.

3- ابي المواهب سيدي عبد الوهاب الشعراني، **لطائف المنن الأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق**، صب، تص: أحمد عزو عناية، دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2004.

4- أبي حامد الغزالي، **المنقذ من الضلال**، تح: محمد محمد أبو ليلة، نور شيف عبد الرحيم فعت، جمعية البحث في القيم والفلسفة، د.ط، واشنطن، الو.م.أ، 2001.

5- احسان عباس، **فن السير**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 94.

6- أحمد شلبي، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ج1، الهيئة العامة لقصور الثقافية، د.ط، القاهرة، مصر، 2019.

7- أنس المقدسي، **الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة**، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ط6، 2000.

8- بدر شاكر السّياب، **أنشودة المطر**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، مصر، 2012.

9- بدر شاكر السياب، **ديوان بدر شاكر السياب**، دار العودة، د.ط، بيروت، لبنان، 2016.

10- بدر شاكر الشياب، **المعبد الفريق**، مؤسسة هنداوي، د.ط، مصر، 2017.

11- تناي عبد الفتاح شاكرة، **السيرة الذاتية في الأدب العربي**، فدوى طوقان، جبرا إبراهيم، واحسان عباس، نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2002.

12- تهامي عبد الفتاح شاكر، **السيرة الذاتية في الأدب العربي**، فدوى طوقان، وجبر إبراهيم جبرا، واحسان عباس، نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر المركز الرئيسي، ط1، بيروت، لبنان، 2002.

13- جبرا ابراهيم جبرا، **البئر الأولى فصول من سيرة ذاتية**، دار الآداب، ط1، بيروت، لبنان، 2009.

14- الحاج جغدم، **تيمات السرد في السيرة عبد الملك مرتاض**، الحفر في تجاعيد الذاكرة دراسات لسانية، م2، ع08، الشلف، الجزائر، مارس 2018.

15- حميد ابن ثور الهلالي، **ديوان جميد ابن ثور الهلالي**، صنعه: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، د.ط، القاهرة، مصر، 1951.

16- الخطيب التبريزي، **شرح ديوان عنترة**، تق.وض، مجيد طراد، **دار الكتاب العربي**، ط1، بيروت، لبنان، 1992.

17- السيد حافظ، **حكايات وذكريات الكاتب السيد حافظ كيف تصبح كاتبا مشهورا**، تح، تص در: ياسر جابر الجمال، عالم الكتب الالكترونية، ط1، مصر، 2023.

18- شكري المبخوث، **سيرت الغائب سيرة الآتي السيرة الذاتية**، في كتاب الأيام، طه حسين، دار الجنوب للنشر، د.ط، تونس، 1992.

19- طه حسين، **الأيام**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، القاهرة، مصر، 1992.

20- عبد الرحمن الرافعي، **مذكراتي 1889-1951**، هنداوي، ذ.ط، مصر، 2022.

21- عبد العزيز شرف، **أدب السيرة الذاتية**، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، د.ط، الحيزة، مصر، 1992.

22- عبد العزيز شرف، **أدب السيرة الذاتية**، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة، مصر، 1992.

23- عبد الله بن بلقين، **مذكرات الأمير عبد الله**، بكتابة التبيان، نش-تح: إ.ليقي بروقنسال، دار المعارف، د.ط، مصر، 1955.

24- عبد الملك مرتاض، **الحفر في تجاعيد الذاكرة (لوحات من ذكريات الصبا والشباب)**، دار القدس العربي، ط3، الجزائر، 2022.

25- عبد الوهاب البياتي، **الأعمال الكاملة "الذي يأتي ولا يأتي"**، دار الشروق، ط4، بيروت، لبنان، 1985.

26- عز الدين إسماعيل، **الأدب وفنونه**، دراسة وتعد، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، مصر، 2013.
27- علي بن حزم الأندلسي، **طوق الحمامة في الألفة والألاق**، هنداوي، ط1، مصر، 2016.

28- غاستون باستلا، **جماليات المكان**، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1984.
29- فدوى طوقان، **رحلة جيلية رحلة صعبة سيرة ذاتية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن، 1985.

30- فليب لوجون، **السيرة الذاتية**، (الميثاق والتاريخ الأدبي)، تر-تق: عمر حلمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
31- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د.ط، 1982.
32- محمد عبد الغني حسن هلالي، **التراجم والسير**، دار المعارفة، القاهرة، مصر، د.ط، 1955.

33- محمد مهدي الجواهري، **مذكراتي**، ج1، دار المحبتي، ط1، بيروت، لبنان، 2005.
34- ميمون بن قيس، **ديوان الأعشى الكبير**، شر-تح: محمد حسين، مكتبة الآداب، الجماميزت، د.ط، د.ت.

35- نجيب مبارك، **بدايات السيرة الذاتية عند العرب**، ثقافة الكتابة عن الذات، صفة ثالثة، مبر ثقافي عربي، د.ع، فلسطين، 2021.

36- نزار قباني، **أحلى قصائدي**، القصة السورية، ط16، سوريا، 1992.

37- نزار قباني، **أشهد أن لا امرأة إلا أنت**، منشورات نزار قباني، ط6، بيروت، لبنان، 1983.
38- نزار قباني، **قصتي مع الشعر**، رياض الرّيس للكتب والنشر، د.ط، لندن، إنجلترا، 1970.

39- ياسر جابر الجمال، **السيد حافظ بين سرد السيرة ومذكرات السرد**، دراسة في الموقف والدلالة، عالم الكتب الالكترونية، د.ط، مصر، 2023.
40- ياقوت الحمودي الرومي، **معجم الأدباء**، رشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج1، تح: إحسان عباس، دار الغريب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1993.

41- يحي إبراهيم عبد الدايم، **الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث**، دار احياء التراث العربي، د.ط، بيروت، لبنان، د.ت.

المذكرات ورسائل العلمية:

1- تأثير نعيم محمد أبوريش، **الحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثالث (334هـ-447هـ)**، مذكرة الماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، 2013.

2- عكاشة فاطمة، **البنية السردية في الحفر في تجاعيد الذاكرة لعبد الملك مرتاض**، مذكرة الماجيستر، جامعة وهران، 2012.

الفهرس

محتويات البحث	الصفحة
الشكر	
الإهداء	
المقدمة	01
المدخل: السيرة الذاتية في الأدب العربي	
ماهية السيرة الذاتية	04
نشأة السيرة الذاتية في الأدب العربي	05
1- تطور السيرة الذاتية في الأدب العربي	05
2- السيرة الذاتية في الأدب العربي	06
3- السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث	07
4- السيرة الذاتية في الأدب الجزائري	07
الفصل الثاني: الطفولة مصدرا للإبداع	
1- الطفولة ذاتا محكيا في الشعر العربي	11
أ- في القديم	11
ب-في الأدب العربي الحديث	15
ج- ذكريات الطفولة المتأرجحة بين الفرح والقرح	22
2- الطفولة ذاتا في النثر العربي	24
أ- محكي الطفولة في تراث النثر العربي القديم	24
✓ محكي الطفولة في السيرة الذاتية	25
✓ محكي الطفولة في المذكرات	26
✓ محكي الطفولة في الاعترافات	27
✓ محكي الطفولة ذاتا في التراجم	28
ب-محكي الطفولة في السّرد العربي الحديث والمعاصر	29
✓ محكي الطفولة في المذكرات	29
✓ محكي الطفولة في السير الذاتية	32
الفصل الثاني: ملامح محكي الطفولة ذاتا في الحفر	
1- المجتمع	38
أ- الأسرة	38
ب-المجتمع الداخلي	44

2- مكان الصبا	46
أ- الأماكن مفتوحة	46
ب-الأماكن المغلقة	47
ج- الذكريات	49
د- استخدام ضمير المخاطب في الحكي	51
الخاتمة	53
قائمة المصادر والمراجع	55